مجلة

المنار

المجلد الخامس

الجزء الخامس عشر والسادس عشر

إهداء من

تابعوا ...

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

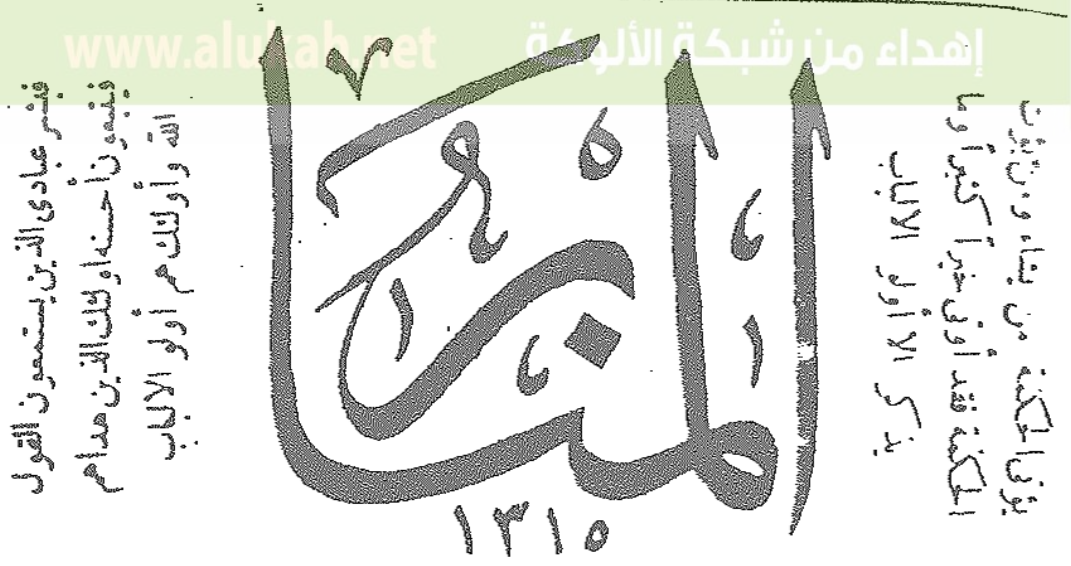

(قال عليه الصلاة والسلام : أن للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت غرة شعبان سنة ١٣٢٠ — ١ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٩٠٢)

الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية

(حرية العلم في أوربا الآن . ونسبتها الى الماضي والحاضر في الإسلام)

(وهو المقال السادس لذلك الامام الحكيم)

لم يبق علينا من الكلام الا ما يتعلق بالأمر الرابع مما ذكرته الجامعة[1] وهو « ان تمكن العلم والفلسفة من التغلب على الاضطهاد المسيحي في أوربا وعدم تمكنهما من التغلب على الاضطهاد الاسلامي دليل واقعي على أن النصرانية كانت أكثر تسامحاً مع الفلسفة »

ليس من السهل عليّ أن أعتقد أن أديباً كصاحب الجامعة يقول هذا القول وهو ناظر إلى الحقيقة بكلتا عينيه مع معرفته بلسان العربيين

(١) يذكر القراء ان كلام الجامعة في الطعن بالإسلام كان مبنياً على أربعة أمور تقدم الرد على ثلاثة منها وفي هذا المقال الرد على الرابع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واطلاعه على ما كتبوا في هذه المسألة وهي من أهم المسائل التاريخية . وإنما هي عين الرضى تناولت من حاضر الحال ومما انتهى اليه سير التاريخ ماتناولت ثم أملت على قلبه ماجرى به قلمه

هل يصح ان تُسمّى الاستكانة للغالب تسامحاً ؟ وهل يُسمّى العجز مع التطلع للنزاع عند القدرة حلما ، أم يُسمّى غلّ الأيدي عن الشر بوسائل القهر كرماً ، ؟هل تعد مساكنة جناب البابا لملك إيطاليا في مدينة واحدة واجتماع الكرسيين العظيمين كرسي المملكة الايطالية والمملكة البابوية في عاصمة واحدة تسامحاً من قداسة البابا مع الملك ؟ أليس الأجدر بالمنصف أن يسمي ذلك تسامحاً من الملك مع البابا لأنه صاحب القوة والجيش والسلطنة ويمكنه أن يسلب البابا تلك الثمالة التي بقيت له من السلطة الملكية ؟ كما أن الأليق به أن يسمي تلك الحالة التي عليها أهل أوربا اليوم من طمأنينة العلم بينهم بجانب الدين تساهلا من العلم مع الدين لا تسامحاً من الدين مع العلم بعد ما كان بينهما من الحوادث ما كان وبعد غلبة العلم واستيلائه على عرش السلطان في جميع الممالك ورضاء الدين بأن يكون تابعاً له في أغلبها

(اقتباس مدنية أوربا من الاسلام ، وأسباب ظهورها التام)

السبب الأول الجمعيات : كان جلاد بين العلم والدين في أوربا وتألفت لنصرة العلم جمعيات وأحزاب منها ما اتخذ السرّ حجاباً له حتى يقوى ومنها ما ابتدأ بالمجاهرة . وكان الدين يظفر بالعلم كما سبق بيانه لكثرة أعوانه وضعف أعوان العلم حتى أشرقت الآداب المحمدية على تلك البلاد من سماء الأندلس وتبع إشراق تلك الآداب واشتغال الناس بها سطوع نور العلم لأوربي من الجانب الشرقي كما ذكرنا . وقد وجد هذان النوران استعداداً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من النفوس للاستضاءة بهما في السبيل التي تؤدي بهما الى المدنية التي كانا يحملانها. هذا الاستعداد كسبته الانفس بما ضايقها من غلوّ رؤساء الدين في استعمال سلطانهم واشتدادهم في استعباد العقل والوجدان حتى ضاق ذرع الفطرة عن الاحتمال فأخذ الشعور الإنساني يتلمّس السبيل الى الخلاص وإذ لاح له هذان النوران اتخذهما له هداية واستقبلهما بوجهه وكان بعد ذلك ما كان من تأثّر الدين لأهل العلم وإحراقهم بالنيران، ونفيهم من الأوطان، ومقاومة رؤساء الدين للحكومات ولأهل الأفكار المستقلة في أدنى الأشياء وأعلاها حتى إنه عند ما شرع ملوك فرنسا في فرش شوارع باريس بالبلاط على الاسلوب الذي وجدوه في مدينة قرطبة وصدر الأمر بمنع تربية الخنازير في تلك الشوارع أغضب ذلك قسوس القديس أنطوان ونادوا بان خنازير القديس لا بد أن تمر في الشوارع على حريتها الأولى. وحصل لذلك شغب عظيم اضطر الحكومة أن تسمح بذلك مع صدور الأمر بأن توضع في أعناقها أجراس. وقالوا ان الملك فيليب السمين مات بسقطة عن فرسه عند ما انزعج الفرس من منظر خنزير وصلصلة الجرس في عنقه

لقائل ان يقول: ان القسوس في ذلك الزمان كان يمكنهم أن يمتنعوا من وضع الأجراس في أعناق الخنازير فرضاهم بذلك بعد تسامحاً عظيماً مع العلم (أو الصناعة) ويسهل عليّ أن أوافقه على ان مثل هذا الضرب من التسامح في أجراس الخنازير كان يظهر من حين الى حين الا أنه فيما أظن لا يكفي في تشييد هذه المدنية التي يفتخر بها الأوربيون اليوم ونحن لا ننكرها قدرها كذلك

السبب الثاني الضغط الديني: شدة الحاجة وغلوّ الرؤساء كانا يوقدان الغيرة في قلوب طلاب العلوم فلم تفتر لهم همة فعظم أمرهم واكتشفوا كثيراً من

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحقائق التي نفعت العامة وشبهت المعقول للأخذ بما يعدون به وصار ذلك سببا بينهم وبين رؤساء الدين سجالا الى أن ظهر دعاة الاصلاح الديني (البروتستانت) فانضم دعاة العلم اليهم ظنا منهم أن سيكونون معهم من المجاهدين في سبيل العلم. وكان منهم إبراسم الشهير فلما انتصر طلاب الاصلاح ودالت لهم دولة استمروا يعاقبون بالموت على الافكار التي تخالف ظاهر ما يعتقدون كما تقدم فانفصل إبراسم ومن معه من حماة الحرية واستقلال الارادة الشخصية وترك المصلحين يتفرقون شيعاً ويقتل بعضهم بعضاً وقال: ما كنت أظن ان دعاة الاصلاح يكونون كذلك اعداء العلم

هذه الطوائف التي تفرقت عقائدها في الإصلاح لم تنتظر الا أن تأمن عدوها العام وهو الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فلما امنها أخذ بعضها يصول على بعض واشتعلت نيران الحروب بينهم. قال أحد أفاضل مؤرخيهم: «وكلما ارتفعت طائفة منهم الى عرش القوة لوثت يديها بالجرائم في العمل لإفناء البقية حتى سئمت النفوس دوام تلك الحال ووجدت من توالي حوادث الانتقام وظهور مضاره في كل طائفة ان الأفضل لكل طائفة ان تمنح الأخرى من الحرية مالا تستغني عنه واحدة منها. والعلم كان يعمل عمله في كشف الحقائق وترقية الآداب وكان من أقوى المنبهات الى مضار الحروب ومفاسد العدوان على حرية الاشخاص من أي طائفة كانت. من هذا نشأ ذلك الأصل العظيم أصل التسامح والرضى بمجاورة المخالف في الرأي. نشأ من القهر والقسوة التي كانت كل طائفة تعامل بها الاخرى» انتهى كلام المؤرخ بالمعنى

السبب الثالث الثورة: ولا حاجة بي الى ذكر ماجاءت به الثورة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفرنسية وكيف كانت قيامتها على الدين ورؤسائه مما هو معلوم . وإنما أنبه القارئ الى الاعتبار بما تقدم من القول ، وبما يمكنه ان يقف عليه في كتب القوم ، ليعلم ان الدين المسيحي في أوربا لم يحتمل العلم فضلا [illegible] فقامت عليه أحزاب العلم فسامره استكانة وخضوعاً ، ولو [illegible] يستقلم الى ذلك سبيلا .

[illegible] المسيحية ورؤساء الدين المسيحي رجال ذوو عزيمة [illegible] دينهم قلما يدانيهم فيها رؤساء دين من الأديان . وهم مع غلوهم في الدين وشدادهم في استعمال سلطانهم على النفوس كانوا ولا يزالون يتخذون كل وسيلة لتأييد دينهم . وهم أشد الناس حرصاً على تقويم أركانه ودفع الشبه عنه ولم يزدهم العلم الجديد الا وسائل وسبلا لترويج عقائده وآدابه ولم تفتر لهم همة في نشره وتزيينه للقلوب . ومع ذلك كله نرى ان رجال العلم وحماة المدنية يتململون منه ، والعامة من الشعوب في تخاذل عنه ، والأمة الفرنسية التي كانت تدعى بنت الكنيسة أصبحت من أشد الناس عليه ، ورأت فلسفتها أن تحدّد حرية أهل الدين في تعاليمهم واجتماعهم . كل ذلك ومدارس اللاهوت لا تزال عامرة وطلاب اللاهوت يمدّون بالألوف . كل ذلك وكثير من الدول ترى من مزاياها حماية الدين المسيحي في أقطار الأرض . قال أحد رؤساء البروتستان في خطبة من خطبه التي ألقاها في بعض البلاد الفرنسية سنة ١٩٠١ بعد كلام له في أن المسيحية رومانية أو بروتستانية فقدت خاصتها الدينية كما فقدت فائدتها الاجتماعية مانصه مترجماً : « اذا كان الدين المسيحي ليس شيئاً سوى الكثلكة المحتاجة الى الاصلاح (المذهب الروماني) أو الكثلكة التي دخلها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاصلاح بالفعل (المذهب البروتستنتي) فالقرن الواقع بالمشرق (الشرق الحاضر) لا يكون مسيحياً أبداً»

وقد جاء في كلام هذا الخطيب ما يصرح بأنه يريد أن يطلب للمسيحية معنى آخر ينطبق كل الانطباق على اعتقاد المسلمين فيها فإن يوفق للنجاح في سعيه زال الخلاف — ان شاء الله — بين الشرق والغرب في دين المسيحية والاسلام

عودٌ الى سماحة الاسلام: آخذ بيد القارئ الآن، وأرجع به الى ما مضى من الزمان، وأقف به وقفة بين يدي خلفاء بني أمية والأئمة من بني العباس ووزرائهم، والفقهاء والمتكلمون والمحدثون والأئمة المجتهدون من حولهم، والأدباء المؤرخون والأطباء والفلكيون والرياضيون والجغرافيون والطبيعيون وسائر أهل النظر من كل فريق مقبلون عليهم، وكلٌّ مقبل على عمله فاذا فرغ عامل من العمل أقبل على أخيه ووضع يده في يده يصافح الفقيه المتكلم والمحدث الطبيب والمجتهد الرياضي والحكيم وكلٌّ يرى في صاحبه عوناً على ما يشتغل هو به، وهكذا أدخل به بيتاً من بيوت العلم فأجد جميع هؤلاء سواء في ذلك البيت يتحادثون ويتباحثون والامام البخاري حافظ السنة بين يدي عمران بن حطان الخارجي يأخذ عنه الحديث وعمرو بن عبيد رئيس المعتزلة بين يدي الحسن البصري شيخ السنة من التابعين يتلقى عنه وقد سئل الحسن عنه فقال «لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته وكأن الأنبياء ربته إن تكلم تكلم بعلم وإن عمد به وإن عمد بأمر قام به وإن أمر بشيء كان ألزم الناس له وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن منه ولا باطناً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أشبه بظاهر منه ، بل أرفع بصري فأجد الامام أباحنيفة أمام الامام زيد ابن علي (صاحب مذهب الزيدية من الشيعة) يتعلم منه أصول العقائد والفقه ولا يجد أحدهم من الآخر الا مايجد صاحب الرأي في حادثة ممن ينازعه فيه اجتهاداً في بيان المصلحة وهما من أهل بيت واحد — أمرٌ به بين تلك الصفوف التي كانت تختلف وجهتها في الطلب وغايتها واحدة وهي العلم وعقيدة كل واحد منهم أن فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة كما ورد في بعض الاحاديث (١)

الخلفاء أئمة في الدين مجتهدون وبأيديهم القوة وتحت أمرهم الجيش . والفقهاء والمحدثون والمتكلمون والأئمة المجتهدون الآخرون هم قادة أهل الدين ومن جند الخلفاء . الدين في قوته والعقيدة في أوج سلطانها وسائر العلماء ممن ذكرنا بعدهم يتمتعون في اكنافهم بالخير والسعادة ورفه العيش وحرية الفكر لافرق في ذلك بين من كان من دينهم ومن كان من دين آخر فهنالك يشير القاريء المنصف الى أولئك المسلمين ، وأنصار ذلك الدين ، ويقول : ههنا يطلق اسم التسامح مع العلم في حقيقته ، ههنا يوصف الدين بالكرم والحلم ، ههنا يعرف كيف يتفق الدين مع المدنية ، عن هؤلاء العلماء الحكماء تؤخذ فنون الحرية في النظر ، ومنهم تهبط روح المسالمة بين العقل والوجدان (أو بين العقل والقلب) كما يقولون

---

(١) المنار : رواه أبو الشيخ ابن حيان في العظمة عن أبي هريرة بسند ضعيف . ورواه من طريقه ابن الجوزي في الموضوعات . ولكن له روايات أخرى منها رواية الديلمي في مسند الفردوس عن أنس بلفظ (ثمانين سنة) وفي رواية موقوفة على ابن عباس « خير من قيام ليلة » ولشهرة هذا المعنى قال الغزالي وردت السنة بكذا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يرى القارئ أنه لم يكن جلاد بين العلم والدين ، وإنما كان بين أهل العلم أو بين أهل الدين شيء من التخالف في الآراء شأن الأحرار في الأفكار الذين أطلقوا من غل التقييد ، وعوفوا من علة التقليد ، ولم يكن يجري فيما بينهم اللز بالألقاب فلا يقول أحد منهم لآخر انه زنديق أو كافر أو مبتدع أو ما يشبه ذلك . ولا تتناول أحداً منهم يد بأذى الا اذا خرج عن نظام الجماعة وطلب الاخلال بأمن العامة فكان كالعضو المجذم فيقطع ليذهب ضرره عن البدن كله

(ملازمة العلم للدين . وعدوى التعصب في المسلمين)

متى ولع المسلمون بالتكفير والتفسيق ، ورُمِيَ زيد بأنه مبتدع وعمرو بأنه زنديق ، ؟ أشرنا فيما سبق الى مبدإ هذا المرض ونقول الآن إن ذلك بدأ فيهم عند مابدأ الضعف في الدين يظهر بينهم وأكلت الفتن أهل البصيرة من أهله (تلك الفتن التي كان يثيرها أعداء الدين في الشرق وفي الغرب لخفض سلطانه ، وتوهين أركانه) وتصدَّر للقول في الدين برأيه من لم تمتزج روحه بروح الدين ، وأخذ المسلمون يظنون ان من البدع في الدين مايحسن إحداثه لتعظيم شأنه تقليداً لمن كان بين أيديهم من الأمم المسيحية وغيرها . وأنشأوا يدرسون ماضي الدين ومقالات سلفهم فيه ويكتفون برأي من يرونه من المتصدرين المتعالين ، وتولى شؤون المسلمين جهالهم ، وقام بارشادهم في الاغلب ضلالهم ، في أثناء ذلك حدث الغلو في الدين واستعرت نيران العداوات بين النظار فيه وسهل على كل منهم لجهله بدينه ان يرمي الآخر بالمروق منه لأدنى سبب . وكلما ازدادوا جهلا بدينهم ازدادوا غلوًّا فيه بالباطل ودخل العلم والفكر والنظر (وهي لوازم الدين الاسلامي) في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جملة ما كرهوه ، وانقلب عندهم ما كان واجباً من الدين محظوراً فيه

لا أكاد أخطئ القاريء اذا زعم ان المسلم إنما استفاد اسم زندقة وتزندق ومتزندق وزنديق من فضل ما علمه جيرانه اذ كانوا يقولون : هرتقة وتهرتق وهو هرتوقي . أو مايماثل ذلك . أو زعم ان قد فشت في المسلمين سرعة التكفير بطريق العدوى من أهل الملل المتشددة وان الذي سهل سريان العدوى بتلك السرعة الشديدة هو ضعف المزاج الديني عند المسلمين بجهلهم بأصوله ومقوماته ومتى ضعف المزاج استعد لقبول المرض كما هو معلوم .

ان المسلمين لما كانوا علماء في دينهم كانوا علماء الكون وأئمة العالم . أصيبوا بمرض الجهل بدينهم فانهزموا من الوجود وأصبحوا أكلة الآكل وطُعمة الطاعم ، هل وقف الجهل بالمسلمين عند تكفير من يخالفهم في مسائل الدين أو يذهب مذهب الفلاسفة أو مايقرب من ذلك ؟ لا بل عدا بهم الجهل على أئمة الدين وخدمة السنة والكتاب فقد حُملت كتب الامام الغزالي الى غرناطة وبعد ما انتفع بها المسلمون أزمانا هاج الجهل بأهل تلك المدينة وانطلقت ألسنة المتعالمين من البربر بتفسيقه وتضليله فجمعت تلك الكتب خصوصاً نسخ « إحياء علوم الدين » ووضعت في الشارع العام في المدينة وأحرقت . قال قوم يعدون أنفسهم مسلمين في ابن تيمية — وهو أعلم الناس بالسنة وأشدهم غيرة على الدين — : إنه ضالٌّ مضل . وجاء على أثر هؤلاء مقلدون يملأون أفواههم بهذه الشتائم وعليهم اثمها واثم من يقفوهم بها الى يوم القيامة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اهمال آثار السلف وحال علوم الدين وطلابها

أهمل المسلمون علوم دينهم والنظر في أقوال سلفهم حتى انك لا تجد اليوم في أيديهم كتاباً من كتب أبي الحسن الاشعري ولا أبي منصور الماتريدي ولا تكاد ترى مؤلفاً من مؤلفات أبي بكر الباقلاني أو أبي اسحق الإسفرايني . واذا بحثت عن كتب هؤلاء الائمة في مكاتب المسلمين أعياك البحث ولا تكاد تجد نسخة صحيحة من كتاب . كتبت على القرآن تفاسير كثيرة في القرن الثالث من الهجرة وما بعده الى السادس منها تفسير الطبري وتفسير أبي مسلم الاصفهاني وتفسير القرطبي وتفسير الجصاص وتفسير الغزالي وتفسير أبي بكر ابن العربي وكثير غيرها وفيها من آراء اولئك الأئمة ووجوه استنباط الحكم والاحكام مالا غنى لطالب علم الدين عنه . فهل يجد الباحث المجد نسخة من هذه الكتب الجليلة يمكن الوثوق بصحتها الا بطريق المصادفة وحسن الاتفاق ؟ وهل يليق بأمة تدعي أنها على دين وأن لها فيه سلفاً صالحاً أن تهجر آثار سلفها وتدع ما كتبوا طعمة للعث وفراشاً للتراب ؟ هل وقع مثل ذلك من المشتغلين باللاهوت المسيحي في زمن من الأزمان؟

ان حالة طلبة العلوم الدينية الاسلامية أصبحت مما يرثى له في أكثر بلاد المسلمين فهم لا يقرأون من كتب الكلام الا مختصرات مما كتب المتأخرون يتعلم أذكاهم منها ما تدل عليه عبارتها ولا يستطيع ان يتعلم البحث في أدلتها وتصحيح مقدماتها وتمييز صحيحها من باطلها وإنما يتلقاها كأنها كتاب الله أو كلام نبيه صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ ما فيها بالتسليم . فاذا ناظره مناظر في بعض قضاياها وعجز عن تصحيحه قطع الجدال بقوله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هكذا قالوا وان لم يكن القول منفقاً عليه بل قد يكون القول مما لم يقل به سوى صاحب الكتاب الذي اشتغل به وربما كان صاحب الكتاب ممن لو رآه أحد من السلف لم يرضه تلميذاً يعي عنه مايقول .

كاد ينقطع طلب العلوم الدينية في سوريا والحجاز وتونس والجزائر وقل جداً في المغرب الاقصى ولم يبق الاهتمام به الا في بعض الصحاري وذلك إما لصعوبة طرق التعليم واقتضائها الزمن الطويل وحاجاتُ الناس مانعة لهم من إفناء أعمارهم فى عمل لايسد من حاجتهم . وإما لتفضيل الآباء تربية أبنائهم على الطرق الحديثة فى أوربا أو فى المدارس الاخرى وليس فيها من الدين شيءٌ وان كان فيها شيءٌ منه فهو مما لايعد تعليما دينياً ينظر اليه . وإما للفتور والجمود ، الذي نشأ عن التقليد والجمود ؛ وبذلك تجد المسلمين قد تولاهم الجهل بدينهم ؛ وأخذتهم البدع من جميع جوانبهم ؛ وانقطعت الصلة الحقيقية بينهم وبين سلفهم ؛ حتى لو عرض على الجمهور الاعظم معظم ما اتفق عليه السلف من الأحكام لأنكروه واستغربوه وعدُّوه بدعة فى الدين وصح فيهم ماقال عمر الخيام فى بعض أشعاره الفارسية مخاطباً للنبي عليه الصلاة والسلام : « ان الذين جاؤا بعدك زيّنوا لك دينك ووشّوه وزركشوه حتى لو رأيته أنت لأنكرته » فهذا الصنف من المسلمين وهو معظمهم قد أنكر دينه الحق وعاداه ونقم على أهله القائمين بخدمته وإنما اصطفى لاعتقاده بعض أفراد لم يعرف عن السلف اختصاصهم بالثقة ولم يسمح الدين باختصاصهم بالتقليد . فاذا وقع من هذا الصنف مافيه أذى للعلم وأهله فهل يعد ذلك واقعاً من دين الاسلام دين محمد صلى الله عليه وسلم دين القرآن دين السنة الثابتة دين الخلفاء الراشدين ومن تبعهم من السلف الأولين ؟؟

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مجلة العلم للإسلام ومباحثه

العلم ، لا العلم ، ما داهم إلا من قبل انحرافهم عن شرعهم وأخذهم عن غيرهم فكلما بعدتهم علم الدين بعدتهم علم الدنيا وحرموا ثمار العقل ، وكانوا كما ترى في العلوم الدينية ، توسعوا في العلوم الكونية ، وضربوا الرمال بسوط من المزة ، أما غيرهم فكلما اتصلوا بالدين وجدوا في المحافظة عليه أنكرهم العلم وتجهمهم واكفهر وجه العالم لهم . وكلما بعدوا من الدين سالمهم العلم وبش في وجوههم ولذلك يصرحون بأن العلم من ثمار العقل والعقل لا يصح أن يكون له في الدين عمل ، ولا أن يظهر منه فيه أثر ، والدين من وجدانات القلب ولا علاقة بين ما يجد القلب وما يكسب العقل . فالفصل تام بين العقل والدين ولا سبيل الى الجمع بينهما . سامحهم الله فيما يسمونه تسامحا مع العلم ، وهم يصرحون بأنه عدوه الذي يستحيل ان يكون بينه وبينه سلم ،

هل عرفت السبب في اضطهاد المسلمين للعلم ؟ أقول اضطهاد ولا أريد به ما كان عند الامم المسيحية من الاشتداد في إبادة أهله والتنكيل بهم واختراع ضروب التعذيب والتفنن في صنع آلات الهلاك مع الأخذ بالشبهة ، والاكتفاء في الإعدام بمجرد التهمة ، فان ذلك لم يقع عند المسلمين لا أيام علمهم ، ولا في أزمنة جهلهم ، ولكن أريد من الاضطهاد الإعراض عن العلم ورمي الألفاظ السخيفة في وجوه أهله وقذفهم بشيء من الشتائم مع الابتعاد عنهم . لا ريب أنك قد أيقنت بأن السبب في هذا الذي يسميه الأديب اضطهاداً إنما هو جهلهم بدينهم . فالدواء الذي ينجع في شفائهم من هذا الداء لا يكون الا ردهم الى العلم بدينهم والتبصر فيه للوقوف على أسراره والوصول الى حقيقة ما يدعو اليه . كان الدين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واسطة التعارف بينهم وبين العلم فلما ذهبت الواسطة تناكرت النفوس وتبدل الأنس وحشة

الدعاة الى الاسلام: فهل قام بينهم دعاة للعلم حقيقيون، أو دعاة لأصل الدين عارفون، ثم استحصت قلوب المسلمين عليهم وجمحت نفوسهم عن الانقياد لهم؟ وهل كثر أولئك الدعاة في أطراف بلاد المسلمين كثرتهم في أوربا من أواسط القرن السابع عشر من التاريخ المسيحي الى ان ظهرت قوة العلم في أوائل القرن السابع عشر وفيما بعد ذلك؟ لا. إنما رأينا من الصادقين أفراداً يظهرون متفرقين في عصور مختلفة ربما لا يجتمع ربعة منهم فما يزيد في قرن واحد ويأخذون في العمل لما وجهوا اليه ثم لا يكادون ينطقون ببعض الكلم فيحس الناس بهم فيأخذ المستمد أهبته لمفارقة ما كان عليه واتباعهم حتى تشعر السياسة (نعوذ بالله منها) بما عسى يكون من أمرهم فتخمد أنفاسهم، قبل ان يبلغوا من قلب واحد ما أرادوا من غرس أفكارهم، فينطفئ النور، ويذلهم الدَّيْجُور، فهل يمد الأديب هذه الضربات من أيدي أرباب السياسة اضطهاداً للعلم لأجل حماية الدين؟ أنزه كل أديب عن ان يظن ذلك وإنما هي صدمات تقع على الدين لا تختلف عن أمثالها مما يصيبه منهم مباشرة فلا تمد حجة على الدين في نظر المنصف

المقلد دون المقلد: ربما يقول القائل: ان كان المسلمون قد أخذوا الجمود في التقليد والنفرة من العلم والاعتقاد بالمداوة بين الدنيا والآخرة وبين العقل والدين وما أشبه ذلك مما هم فيه وورثوه عن الأمم السابقة عليهم خصوصاً أقرب الملل اليهم، فما بالهم لم يقلدوا المسيحيين في الحرص على نشر دينهم والتوسع في علومه مذيلا بما أخذوه عنهم ولم يقسموا أنفسهم قسمين كما قسم المسيحيون إخوانهم قسمين قسما ينقطع الى الآخرة في الأديار والصوامع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقسما يشتغل بالدنيا ليقيت نفسه وبقيت أهل القسم الأول وحمى نفسه ويحميهم من العدوان ؛ ومالك ترى المسلمين خلوا وراءهم أعصابهم وعموا النظر في علوم دينهم كما ذكرت ثم صاروا أبعد الناس عن معرفة الطرق لتحصيل الغنى والثروة ، والقبض على ناصية القوة وصولجان العزة ، وطرحوا أنفسهم في تيار من القدر كما يقولون ، يجري بهم الى حيث لا يعلمون ؟ ثم هم مع ذلك أحرص الناس على حياة ؛ وأشدهم لهفاً على الحطام ، فلا ترى الجمهور منهم في شيء للدين ولا للدنيا فما هذا التناقض ؟

فأقول له : انك قد نسيت ان المقلد يكون دائماً أحط حالا وأخس منزلة من المقلَّد . فالمقلِد إنما ينظر من عمل المقلَّد الى ظاهره ولا يدري سره ولا ما بني عليه . فهو يعمل على غير نظام ، ويأخذ الأمر لا على قاعدة ، ولذلك سقط المسلمون في شر مما كان عليه مقلَّدوهم لاسيما انهم قد خلطوا في التقليد وأضافوا الى دينهم مالا يمكن ان يتفق معه فصاروا في مثل حال المتخبط الذي تنازعه عدة قوى يذهب مع كل منها آنا ثم ينتهي أمره بعد الخيبة بالتعب الشديد فيستلقي الى أن يستريح فينهض الى العمل على هدى أو يموت . لما كان المسلمون علماء كانت لهم عينان عين تنظر الى الدنيا والأخرى تنظر الى الآخرة فلما طفقوا يقلدون أغمضوا احدى العينين وأقذوا الأخرى بما هو أجنبي عنهم فقعدوا المقلدين ولن يجدوها الا بفتح ما أغمضوا وتطهير ما أقذوا

الاصلاح والمصلحون : لا تمائل أن يقول : كيف تدعي أن دعاة السلم والدين قليل بين المسلمين مع أننا نسمع أصواتهم تتلاقى في جو مصر وسوريا وغيرهما من البلاد في هذه الأيام . كل يقول : ديني ملتي : الاسلام مسلمون : قرآن سنة :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد الاسلام القديم سلفه الصالحون: تعلم تعليم: كتب قديمة كتب جديدة، وما يشاكل ذلك مما يظهر منه ان الداعين الى العلم أو المنبهين الى الاخذ باصول الدين الاسلامي كثيرون ولا نرى مع ذلك من أغلب المسلمين الا آذاناً صماً واعيناً عمياً وسدّاً عما يدعو اليه هؤلاء. ويمكنني أن أقول له: ان الصادق في هؤلاء ليس بكثير عنده، والجمهور منهم قلما يخلص قصده، وما تجد أكثرهم الا متجرين بهذه الكلمات، الكاسب بعض درجات: ويظهر لك ذلك من أنهم يلفظون هذه الاسماء وقلما يدرسون شيأ من مدلولاتها ليقفوا على الحقيقة منه وانما يقف بعضهم عن بعض ظواهر كالزبد لا تمكث في الأرض، اما الصادقون على قلتهم مقيداً بعض الناس يسمعون ما يقولون، ويطلبون الرشاد مما يعلمون، خصوصاً في أمر الدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا لا سيما في بلاد الهند وبين مسلمي روسيا. ولكن الاصلاح ليس ريحاً تهب فتمسح الأرض من الشرق الى الغرب في وقت قريب فانتظر

قد يقول القائل: لم لم يكثر هؤلاء كثرتهم بين الأوربيين فيما مضى حتى يغلبوا الظالمين من أهل السياسة ويستميلوا العادلين منهم اليهم، وينهضوا بالمسلمين من هذه الرقدة التي طال أمدها عليهم؟ ولم لا يزال أهل البصيرة منهم قليلين متفرقين يهمسون بالقول ولا يجهرون، وليس للعلم فيهم دعاة عاملون؟ أليس ذلك سبيلا لمؤاخذة الاسلام وحجة عليه؟؟ وأقول له: ان حظ المسلمين لا يصح ان يكون أسعد من حظ مقلديهم بل المنتظر ان يكون أتعس وقد أقامت المسيحية ما يزيد على الف سنة قبل ان يظهر فيها العلم أو تنشأ الحرية الشخصية؛ أو تسري فيها الحركة العملية؛ الى ما فيه صلاح الجمعية الانسانية، مع توالي النهضات؛ وتواصل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الصدمات إثر الصدمات ، ولم يمض على المسلمين من يوم استحكمت فيهم البدعة وأطبقت عليهم ظلم المحدثات ودخلوا جحر الضب الذي دخله من كان قبلهم الا أقل من ثمانمائة سنة فلم يمض عليهم وهم في بدعهم الجديد ذلك الزمن الذي قد يكون عمرا لمثل هذه الحالة ثم تقضي نحبها في آخره . وما أظن ان يمر على المسلمين مثل تلك المدة قبل ان يبلغوا من صلاح الدين والدنيا ماهم أهل له

الفرق بين التعصبين: وعلى كل حال لا يجوز في شريعة الإنصاف أن يذكر المسلمون في جانب جمهور المسيحيين اذا ذكر الغلو في التعصب الديني فضلا عن ان يقال ان المسلمين أشد إفراطا فيه . والشاهد يدلنا على انه قد يكون للمسلمين في التعصب ألفاظ وكلمات ، ولكن الذي يكون من جمهور المسيحيين إنما هو أعمال وضربات في المعاملات ؛ وما على طالب الحقيقة الا ان يسيح بفكره في المستعمرات الهولاندية في الشرق ومثل مملكة الترنسفال قبل سقوطها وبلاد الناتال في الجنوب ثم يرجع الى بعض بلاد الروسيا في الشمال من قبل عشرين سنة ثم يرجع الى الجزائر وما يليها في جهة الغرب ليعلم كيف تكون الشدة في المعاملة مع غير أهل المذاهب المسيحية وكيف يبلغ التعصب من أهله حدا تنظر اليهم فيه الانسانية شزراً ، ولا تقبل لهم فيه المدنية عذراً ،

ماعلى الباحث الا أن ينظر فيما يكتبه الكتاب الفرنسيون ليعلم أنهم في حيرة من أمرهم مع المسلمين . يريدون أن تكون لحكومتهم طمأنينة فيما ملكت من بلاد المسلمين ولكن حكومتهم لا تجد السبيل اليها مع ما اتخذته قاعدة لعملها وهو الشدة والافراط في القسوة على المسلمين خاصة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وحدهم دون سواهم . وأرباب الاقلام يبحثون عن تلك الطمأنينة مع المحافظة على تلك القسوة ويأبى الله أن يشركهم على مايبحثون عنه لانهم يطلبون الجمع بين الضدين في موضوع واحد وهو محال كما يقرره فلاسفتهم

رأي هانوتو الاخير في معاملة المسلمين

موسيو هانوتو أطلق لقلمه من سنوات أن يجري فى البحث عن طريقة حكم للمسلمين وقاعدة لمعاملتهم فى البلاد التي يحكمها الفرنسيون وجاء فى فصول مقاله بما لايزال يذكره القراء . ثم بعد ان قتل المسألة علما ثلاث سنين رجع الى موضوع البحث هذه السنة بلسان غير الذي كان ينطق به ورأي غير الذي كان يصدر عنه . وإني ذاكر ملخص مانقلته الجرائد من خطابه الذي ألقاه في المجمع الجغرافي فى شهر مارس من هذه السنة متعلقاً بأفريقيا واقتصر منه على مايتعلق بما نحن فيه وهو بالمعنى : « ان القواعد الجديدة التي يجب ان يكون عليها العمل فى أفريقيا هي مخالفة للقواعد القديمة التي كانت تجري عليها السياسة الاستعمارية فيما مضى من الزمان » (أي قبل ساعة وقوف الخطيب لالقاء خطابه) ثم بين هذه القواعد الجديدة التي يعامل بها المحكومون فقال لهم الامن والسلم ثم قال : « إننا مدينون لهم بالعدل والسلم كما اننا مدينون لهم بالتساهل الديني ولست أشير الى هذا الموضوع الخطير الذي له علاقة بكل مايثير النفس البشرية الا اشارة خفيفة فاقول : ان التمدن الاوربي يجد فى طريقه فى أفريقيا لاسيما فى شمالها ذلك الدين القديم العظيم الذي هو دين الاسلام والذي هو فى هذه الجهات (شمال أفريقيا) أكثر نشاطاً منه فى غيرها . وهذا الدين يدعو الى اله واحد ويجعل الايمان بالتوحيد مصدراً لكل الفضائل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الدينية والاجتماعية والسياسية التي تؤمن به [illegible]

على التفاني منه . فمن المفروض علينا التساهل في هذا الشأن إلى ليس التساهل بكاف وحده فمن الواجب ان ندرس هذا الدين ونبذل جهدنا في فهمه . وعلينا ان نتخذ الكلمة الاسلامية « لا إكراه في الدين » شعاراً لنا لانخرج عن حدود معناها . وان نحترم الدين الاسلامي ونحميه من كل طارئ سوء . ولا بأس بذكر كلمة للأمير عبد القادر الجزائري في هذا المقام وهي : « إن أصحاب الأديان الثلاثة يشبهون ثلاثة اخوة من ثلاث أمهات » انتهى محصل كلام هانوتو . قبل الكلام عليه أسأل القارئ هل سمع مثل هذه الكلمة ممن يماثل الأمير عبد القادر في نسبه الى الى صاحب الرسالة ومقامه في أهل دينه ومكانته من سلامة العقيدة في في مذهبه ؟ أو سمع مايقرب منها ممن لايدانيه من أهل الملل الاخرى ؟

ترى هانوتو يرشد أهله الى اتخاذ سبيل جديدة في سياسة المسلمين وهذا الجديد هو السلم والأمن والتساهل مع المسلمين في أن يستمروا مسلمين واحترام حقوقهم وتركهم يعملون بدينهم . وعد هذا مبدأ جديداً لم نسبق الجرى على مثله . وهل تجيب الحكومة الفرنسية بطلبه ؟ مسألة فيها نظر . فهل يليق بمنصف ان يذكر المسلم اذا ذكر التعصب مادام في الكون مثل هذه الدرجة منه ؟

سياسة الانكليز في التسامح

نعم نحن لانكر ان بين الأمم الاوربية أمة تعرف كيف تحكم من ليس على دينها وتعرف كيف تحترم عقائد من تسوسهم وعوائدهم وهي الأمة الانكليزية فهي وحدها الأمة المسيحية التي تقدر التسامح حق قدره .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لا يسعنا أن نقول : إن منشأ ذلك أن أمراءها في الحروب الصليبية وقوّاد جيشها كانوا من أشد الصليبيين علاقة بسلطان المسلمين وأمراء جيشه . وقد امتاز الانكليز في ذلك الزمن المظلم بدرس عقائد المسلمين وعاداتهم فحملوا من ذلك شيئاً كثيراً الى بلادهم ولم تحجبهم غشاوة التعصب عن إبصار ضوء الحق وظهر أثر ذلك في أقلام كثير من كتابهم مثل والتر سكوت وشيل وغيرهما قبل أن يظهر في أقلام الكاتبين من غير الانكليز بأزمان طويلة . فلنا أن نقول ولا نخشى لائماً : إن هذه الخصلة الشريفة — خصلة إطلاق الحرية لأهل الدين يعتقدون بأداء فرائضه مع احترام شعائره — هي من أجلّ الخصال وربها غير المسلمين عن المسلمين . وهل أجد من يأبى عليّ القول بأن الاسلام السليم من البدع هو أستاذ الانكليز وعنه اخذوا هذه الخلة ؟ الا ترى ان نظامهم في ذلك يقرب من نظام المسلمين يوم كانوا مسلمين : يكتفون من الناس بالخضوع للقوانين وأداء ما يفرض عليهم من الضرائب ثم يحفظون نظام العدل بينهم بقدر ما تسمح به السياسة لا يفرقون بين دين ودين . وهكذا كان حال المسلمين وان كان ذلك على قاعدة البرّ والرحم

خاتمة : فان قال قائل : أليس لهذا المقال من آخر ؟ أليس في طول الكلام مجلبة الملل ، وترويح الكسل ، قلت اني أوجه كلامي هذا الى أهل التفهم الى الفهم ، وأرباب الشره الى المعرفة ، ولا أظن هؤلاء الا طالبين ما هو أوسع من هذا المقال وأطول منه اضعافا مضاعفة لأن الموضوع جليل ، والكلام فيه مهما كثر قليل ، وأما القارئ الملول ، فعقله مدخول ، وعزمه مفلول ، وفكره مغلول ، وهو قصير الهمة فيما يقصر عنه الطول ، فلا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

البدع والمحدثات فيه والعلل التي نشبت بالمسلمين بسببها فرصة أخرى

وقبل أن أترك القارئ أنبهه الى أن ما أجمل في هذه الفصول لم يقصد به الطعن في حال أحد من الناس ولا طائفة من الطوائف كما يعرفه القارئ نفسه من لباس المعاني وما يكسوها من الأدب والتنزه عن كل كلمة تشم منها رائحة العيب على آخر . وقد يعلم من هذه النزاهة ان هذا رأي طبخناه لنطعمه بأنفسنا ، وننفق منه على من تلزمنا نفقته من أهلنا ، ولم يكن يخطر ببالنا عند ما أجدنا طبخه ان نفيض منه على غيرنا ، لكن اذا عشا الساري الى ضوء نارنا ، وطلب القرى منا فما سمناه ما لدينا ، وعرضنا عليه أحر من نفس الحياة ، واهنأ من خلق الأناة ، ان شاء الله ، اهـ

(المنار) من عجيب الاتفاق أنه بعدما كتب هذا المقالات ونشر بعضها ظهرت تلك المقالة المستر كوزبت الانكليزي التي نشرت في المؤيد فجاءت شاهدا مؤيدا لما كتب الكاتب في فضل الإسلام وفي صفات الانكليز وسنلحق قوله في الاسلام بالمقالات المعلقة على حلتها في كتاب ونعد القراء بان هذا الامام وعد بان يكتب مقالا آخر ملحقا بهذا في بيان ان ما طرأ على الاسلام من البدع وما لحقها من الجمود سيكون هو السبب في الرجوع الى الأصل وإعادة مجد الاسلام ولعلها تنشر في الجزء الآتي

وقد باع كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) نحو مئتي صفحة وسنزيده شهادة الكاتب الانكليزي ثم مقال الامام الموعود به . وقد طبع على ورق جيد وجعلنا ثمنه مع هذا خمسة قروش صحيحة فقط رغبة في سعة انتشاره

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ باب الأسئلة والأجوبة ﴾

(حدوث العالم في نظر الاسلام والفلسفة)

(س ١) المولى رضاء الدين افندي قاضي القضاة وعضو الجمعية الاسلامية العامل في اوفا (الروسيا) : قد طال النزاع وقوي الجدال وكثر في هذه الأيام القيل والقال بين الناس في هذا القطر في مسئلة حدوث العالم من جهتها الشرعية . فبعضهم يقول : ان الاعتقاد بالحدوث الزماني حسب ماقرره علماء الكلام من متأخري المسلمين فرض على العباد مثل الاعتقاد بوحدة الله تعالى وصدق رسوله وسائر الاعتقادات الواردة في القرآن الشريف . وبعضهم يخالفه ويقول : ان الاعتقاد بحدوث العالم حدوثا زمانياً لايكلف به الشرع ولا أخبر به النبي ولا نطق به القرآن الكريم بل هو من آراء أهل الكلام وبدعهم أخذوه من فلاسفة اليونان ولقنوه العوام باسم الدين وما هو من الدين أصلا . بل هو من باب التدين بالرأي . وانما الواجب على المسلمين هو اعتقاد ان العالم مخلوق له تعالى من غير تعرض الى حدوثه بالزمان أو بالذات . وهو الذي نطق القرآن به في عدة مواضع . وبالجملة ان القول بالحدوث الذاتي أو الزماني انما هو من مسائل الفلسفة لاتعلق له بالشريعة . ولما كانت جريدة المنار هي الجريدة الدينية الوحيدة جئنا الى حضرتكم نستسفر رأيكم في هذه المسئلة ونشره أيضاً في أحد أعدادها ويكون هو ان شاء الله تعالى الفاصل بين الحق والباطل .

(ج) ان الصواب في الرأي الثاني . وما كان لدين الفطرة . مقرر الحنيفية السمحة . الذي ظهر في الامين ، ودعا اليه الموحدين والمدنيين ، ان كل يكلف كل فرد في تصحيح الايمان ، بنظريات فلاسفة اليونان ، والتمييز بين تلك الخلافات في الحدوث بالزمان والحدوث بالذات . ثم خلافات الفلاسفة مع أهل الكلام . في أصل وجود الزمان . فالمتكلم يقول انه أمر اعتباري . والفيلسوف اليوناني يقول انه وجودي ، وانها المعارك يحارب الباحث فيها غير عدو حتى اذا أعيا من مقارعة الدليل بالدليل ، ونفض عنه عثير القال والقيل ، رجع الى أحد الامرين — وقوف الحيرة أو دين الفطرة ،

المقصد الاول من مقاصد القرآن المبين ، تقرير عقائد الدين ، ثم هو لم ينطق بكلمة من مادة الحدوث للاعيان ، لابحسب الذات ولا بحسب الزمان . فللناظر ان يقول : ان اطراد السنن الالهية ، في العوالم العلوية والسفلية ، ووحدة النظام مع الاتقان ، في جميع هذه الاكوان . يدلان على ان لها خالقاً عليماً قديراً حكيماً ،

www.alukah.net شبكة الألوكة

حياً قيوماً ، لا يأخذه إبداً ولا ينام ، له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤوده حفظهما ، وهو العلي العظيم ، لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم ، الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم ، الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غني حليم ، يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً ، لا يقدرون على شيء مما كسبوا ، والله لا يهدي القوم الكافرين ، ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير ، أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار ، له فيها من كل الثمرات ، وأصابه الكبر ، وله ذرية ضعفاء ، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ، يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غني حميد ، الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً ، والله واسع عليم ، يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر إلا أولو الألباب ، وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ، وما للظالمين من أنصار ، إن تبدوا الصدقات فنعما هي ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير ، ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ، للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً ، وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ، الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يمحق الله الربا ويربي الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم ، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ، يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً ، فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يملل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ، إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا إذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ، واتقوا الله ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم ، وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة ، فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ، ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ، والله بما تعملون عليم ، لله ما في السموات وما في الأرض ، وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله على كل شيء قدير ، آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

وقد ذكر الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتابه « مقالات الإسلاميين » (ص ٢) ومنه : قال الفاضل المرجاني الغزاني صاحب « الطرفة الغنية » في رسالته « مستفاد الأخبار » : إن حديث أبي هريرة المذكور في أسد الغابة لمطابقته لعصر القاهرة (ج ٤ ص ١٤٠) . فيه علامة على غلط وقت طبعه والصواب ما في النسخة الخطية في زمان قريب من عصر المؤلف ابن الأثير رضي الله عنه . وهو هكذا : « وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لعمير ومن معه كتاباً تركياً ذكره . فإن رواته نقلوه بألفاظ عربية وبدلوها وصحفوها تركناها لذلك » . ولما لم يكن لدينا نسخة أخرى سوى المطبوعة المذكورة قابلها رجونا من حضرتكم مقابلة النسخة المطبوعة مع الأصول المصححة خدمة للعلم والدين ثم بيانه إلينا لنكون على بصيرة من ذلك وأجركم على الله .

(ج) لم يكن التحريف والتبديل في النسخة المطبوعة وإنما كانا في رسالة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفاضل القزاني « مستفاد الأخبار » فان ما كتبه عن النسخة الخطية هو عين مافي النسخة المطبوعة الا أنه صحف لفظ « تركنا ذكره » بقوله « تركيا ذكره » ولفظ (غريبة) بلفظ (عربية) فكان التبديل والتحريف ، من هذا التصحيف ، وسببه ان النسخة الخطية التي رآها غير منقوطة فأوقعت الفاضل فيما رأيت . وما كان لمثله أن يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب لقوم من العرب كتابا تركياً فان جاز أن يعرف هو التركية من طريق المعجزة فمن أين لعمير وقومه بني أسلم علم ذلك ؟ وما هو الداعي الى مخاطبة العرب بلسان العجم؟ ثم ما كان لمثله أن يخفى عليه ان كلمة (ذكره) بعد كلمة (تركيا) لامعنى لها ولكن معناها ظاهر اذا كانت الكلمة (تركنا) وهو أن المصنف ترك ذكر الحديث لوقوع التحريف فيه وسبب التحريف وجود الالفاظ الغريبة التي لم يفهمها رواته . أما عبارة الكتاب فهي كما في ترجمة عمير بن أفصى الاسلمي : « روى أبو هريرة قال قدم عمير بن أفصى في عصابة من أسلم فقالوا يارسول الله انا من أرومة العرب نكافئ العدو بأسنة حداد ، وأذرع شداد ، ومن ناوانا أوردناه السامة ، وذكر حديثاً طويلا في فضل الانصار وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لعمير ومن معه كتابا تركنا ذكره فان رواته نقلوه بألفاظ غريبة وبدلوها وصحفوها تركناها لذلك أخرجه أبو موسى اه

وقد قابلنا النسخة المطبوعة بنسخة خطية في مكتبة الحكومة المصرية كتبت في سنة ٧٢٢ أي بعد وفاة ابن الأثير بأقل من قرن فألفيناها مطابقة لها

السلام على غير المسلم : (س ٣) الشيخ بسطويسي بركات بالمحلة الكبرى : قال الله تعالى « واذا حُيِّيتُم بتحيةٍ فحيُّوا بأحسن منها أو ردُّوها » وقال تعالى « ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لستَ مؤمنا » وقال « يا أيُّها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غيرَ بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلِّموا على أهلها » الآية . فهل هذا الإطلاق في الآيات الكريمة يشمل المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب وغيرهم من بني آدم أم هو خاصٌ بالمسلمين قيدت إطلاقه عليهم أحاديث صحيحة صريحة ؟ وهل قوله صلى الله عليه وسلم فيما معناه : ان من حق المسلم على المسلم إفشاء السلام » يعتبر من قيود الإطلاق لفهم البعض سقوط حق غير المسلم أم لا ؟ واذا قيل انه عام فهل ينبغي شيوعه بين الطوائف حتى يصير عادة مألوفة أم لا ؟

(ج) إن الاسلام دين عامٌّ ومن مقاصده نشر آدابه وفضائله في الناس ولو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالتدريج وجذب بعضهم الى بعض ليكون البشر كلهم أخوة . ومن آداب الإسلام التي كانت فاشية في عهد النبوة إفشاء السلام الا مع المحاربين لأن من سلّم على أحد فقد أمّنه فاذا قتله بعد ذلك كان خائناً ناكثاً للعهد . وكان اليهود يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم فيردّ عليهم السلام حتى كان من بعض سفهائهم تحريف السلام بلفظ (السّام) أي الموت فكان النبي صلى الله عليه وسلم يجيبهم بقوله « وعليكم » وسمعت عائشة واحداً منهم يقول له : السّامُ عليك . فقالت له: وعليك السام واللعنة . فنهرها عليه الصلاة والسلام مبيناً لها أن المسلم لا يكون فاحشاً ولا سبّاباً وان الموت علينا وعليهم . وروي عن بعض الصحابة كابن عباس انهم كانوا يقولون للذمي : السلام عليك . وعن الشعبي من أئمة السلف أنه قال لنصراني سلم عليه : وعليك السلام ورحمة الله تعالى . فقيل له في ذلك فقال « أليس في رحمة الله يعيش » وفي حديث البخاري الأمر بالسلام على من تعرف ومن لا تعرف . وروى ابن المنذر عن الحسن أنه قال « فحيّوا بأحسن منها للمسلمين » أو ردّوها » لأهل الكتاب . وعليه يقال للكتابي في رد السلام عين ما يقوله وان كان فيه ذكر الرحمة

هذه لمعة مما روي عن السلف ثم جاء الخلف فاختلفوا في السلام على غير المسلم فقال كثيرون انهم لا يُبدأون بالسلام لحديث ورد في ذلك وحملوا ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على الحاجة أي لا يسلم عليهم ابتداء الا لحاجة . وأما الرّد فقال بعض الفقهاء انه واجب كردّ سلام المسلم وقال بعضهم انه سنة وفي الخانية من كتب الحنفية ولو سلم يهودي أو نصراني أو مجوسي فلا بأس بالردّ . وهذا يدل على انه راجح عند هذا القائل لا واجب ولا مسنون مع أن السنة وردت به في الصحيح

أما ما ورد من حق المسلم على المسلم فلا ينافي حق غيره فالسلام حق عام ويراد به أمران مطلق التحية وتأمين من تسلّم عليه من الغدر والإيذاء وكل ما يسيء . وقد روى الطبراني والبيهقي من حديث أبي امامة : « ان الله تعالى جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا » . وأكثر الاحاديث التي وردت في السلام عامة وذكر في بعضها المسلم كما ذكر في بعضها غيره كحديث الطبراني المذكور آنفاً

أما جعل تحية الاسلام عامة فمندي أن ذلك مطلوب وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن اليهود كانوا يسلمون على المسلمين فيردون عليهم فكان من تحريفهم ما كان سبباً لأمر النبي صلى الله تعالى عليه والسلام بأمر المسلمين أن يردوا عليهم

يلفظ « وعليكم » حتى لا يكونوا مخدوعين للمحرفين. ومن مقتضى القواعد أن الشيء يزول بزوال سببه . ولم يرد أن أحداً من الصحابة نهى اليهود عن السلام ، لأنهم لم يكونوا ليحظروا على الناس آداب الاسلام ، ولكن خلف من بعدهم خلف أرادوا أن يمنعوا غير المسلم من كل شيء يعمله المسلم حتى من النظر في القرآن وقراءة الكتب المشتملة على آياته وظنوا أن هذا تعظيم للدين ، وصون له عن المخالفين ، وكلما زادوا بعداً عن حقيقة الاسلام زادوا إيغالاً في هذا الضرب من التعظيم . وإنهم ليشاهدون النصارى في هذا العصر يجتهدون بنشر دينهم ويوزعون كثيراً من كتبه على الناس مجاناً ويعلمون أولاد المخالفين لهم في مدارسهم ليقربوهم من دينهم . ويجتهدون في تحويل الناس الى عاداتهم وشعائرهم ليقربوا من دينهم حتى أن الأوربيين فرحوا فرحاً شديداً عند ما وافقهم خديو مصر الاسبق على استبدال التاريخ المسيحي بالتاريخ الهجري وعدُّوا هذا من آيات الفتح . ونرى القوم الآن يسعون في جعل يوم الأحد عيداً أسبوعياً للمسلمين يشاركون فيه النصارى بالبطالة . ومع هذا كله نرى المسلمين لا يزالون يحبون منع غيرهم من الأخذ بآدابهم وعاداتهم ويزعمون أن هذا تعظيم للدين ، وكأن هذا التعظيم لا نهاية له الا حجب هذا الدين عن العالمين ، ان هذا لهو البلاء المبين ، وسيرجعون عنه بعد حين .

باب التربية وطرق التعليم

الازهر والازهريون . وفاضل هندي

(الرسالة الثانية مما وعد به الشيخ عبد العزيز العريشي الازهري والأولى نشرت في الجزء ١٠)

(من القاهرة الى حيدر اباد)

اليك أيها الاخ سلام صديق طبع قلبه على الاخلاص لك ، وارتبط بأسباب محبتك ، وشكوى شوق قد برح بي برحا . لا أستطيع له شرحا . وبعد فقد ذكرت لك في رسالتي السابقة طرفاً من نظام مدرسة الازهر وطرق التعليم بها على وجه الجملة والآن أريد أن آتي لك بعبارة أوسع وتفصيل أشفي على كل ما رأيته من نظام طلبها وسلوكهم مناهج التحصيل مقتفياً أثر الطالب في كل دور من أدوار طلبه من إبان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دخوله فيها حتى يترشح لنيل شهادتها مبيناً لك قوته وما حصل عليه في كل دور منها

زرت أيها الاخ تلك المدرسة من تاريخ الرسالة الاولى حتى اليوم زورات متعددة في أوقات مختلفة وقفت فيها على تلك الدروس وقفة العاشق الدقف على الربع المحيل وهو يبكي لأناس عاهدوا الرحيل على أن لا يملُّوا الذميل

فكانت نتيجة ذلك البحث الدقيق والتقرير المتواصل ان ظهر لي ما عليه تلك المدرسة الواسعة الكثيرة العدد ووقوفي على مواضع خللها وسوء نظامها على ما أنا عليه من الغربة وبعد الدار، ورأيت أن أجعل كل موضوع رأساً مستقلا بنفسه أذكر فيه كل ما استبان لي من النقد كما سيمر بك ان شاء الله

انتظام الطلبة : وأول أمر رغبت في كشف سره وبيان سببه من أمور هذه المدرسة هو سبب كثرة طلابها حتى بلغوا التسعة آلاف أو يزيدون وأغلبهم من المصريين كما قدمت لك في رسالتي السابقة فكان غاية ما وقفت عليه من ذلك ما سمعته هناك من أخ ثقة خبير قال : لا يكاد يمر الانسان ببلدة من البلدان المصرية أو قرية من قراها حتى يرى مئات من شبان المصريين حلفاء المتربة وضيق ذات اليد وهم يطاردون الجوع بالفأس والمحراث وتمضية يومهم الطويل في الحقول والمزارع والتعب والنصب تحت شمس تذيب بوهجها رأس الضب . ومن بينهم أفراد لا يكاد يخلو منهم بلد من البلدان أو قرية من القرى معطلون عن كل عمل يطلقون عليهم تارة لقب الفقهاء أو الوعاظ وطوراً اسم المأذونين يرى الواحد منهم في جبة وقباء وعمامة مجراة يأكل جميع ساعات نهاره إما متربعاً في بيته خالياً من كل عمل أو قاعداً في احدى الزوايا ينثر من فيه على بسطاء أهل الفلاحة ما يسمونه وعظاً وارشاداً وما هو الا أقاصيص أو لغو في حكمها يدعوا الناس به الى حب التواكل والبطالة حتى اذا أتى على آخر الدرس لبث مكانه منتظراً ما تدر به أيدي أولئك العملة المساكين الذين لم يحصلوا على الدرهم الا طراداً ، ولم ينالوا اللقمة الا جهاداً . ومن ذلك يتألف هؤلاء المعطلين عيشة لا تعب فيها ولا نصب فاذا رزق الله أحد الفلاحين الفقراء ولداً وقع بين نارين إما أن يدعه يشتغل بما يشتغل هو به فيعيش عيشة البؤس والحصاصة وإما ان يدفع به الى الأزهر ويثابر على أن يقسم له ما يناله من الأجر على أعماله حتى يمضي عليه عدد من السنين فيخرج منه وقد ترشح لأن يأكل من أوساخ الناس ويعيش عالة على العباد متوسداً الراحة من عناء كل عمل . فاذا ترجح عنده الامر الثاني دفع به الى الازهر وأخذ يجري عليه

من النفقة مايقطعه من قوت يومه الضروري . لذلك لاتكاد تجد في المائة واحداً من الطلبة من اليوتات الشريفة التي يعمل أهلوها لمستقبل شريف كالقضاء والافتاء . فأنت اذا سرت في ساحة تلك المدرسة فانما تشق أجساماً تنبو عن رؤيتها النفس وهم مختلفون متبعثرون ليس لهم نظام ولا ترتيب . ويغلب ان يكون سن الطالب عند اندراجه في سلك الازهريين . مابين الخامسة عشرة الى الثلاثين . وقد كان امتحان الدخول في هذه المدرسة بسيطاً قاصراً على معرفة القراءة والكتابة اما اليوم فهم يشترطون مع ذلك حفظ جميع القرآن للكفيف ونصفه لغيره .

ولأجل ان أتمكن من أن أبين لك ادوار الطالب هناك وأوقفك على قوته في كل دور منها اقسمها الى ثلاثة أدوار كل دور ثلاث سنوات فيكون المجموع اثنتي عشرة سنة . وهي أقل مدة أمكن بعض الطلبة نيل الشهادة فيها

الدور الاول : يتقدم الطالب للانتظام في الازهر وهو في السن الذي قدمت لك فان كان من الفلاحين (وهو الاغلب) رأى نفسه قد انتقل طفرة من بين رعاء الشاء الى حلقات المدرسين ومجالس العلماء . وان كان من اليوتات الكبيرة والأسر الخاصة (وقليل ماهم) انتقل المسكين وثبة في يوم واحد من نعيم العيش وحسن الحال الى عيش الشظف والخشونة وبُدل في ساعة واحدة بروية أهله وهم على ما عهد من النظافة وجمال الهندام رؤية أولئك الذين ذكرت لك . وسواء كان الطالب من العامة أو من الخاصة فانه يتساوى مع غيره في الطلب وطرق التحصيل

يدخل الطالب تلك المدرسة وهو لايدري كيف يحضر ولا ماذا يقرأ ولا على من يتلقى دروسه ولا على أي وجه يسير فيها ولا ما هي الكتب تشترى لذلك الغرض من حيث لا ناظر له هناك ولا رقيب عليه يأمره بشراء كتاب معلوم والاختلاف الى درس مخصوص بل يمكث هناك المسكين أياماً يجول في أركان الازهر وهو على ما ذكرت من البساطة والسذاجة ويأخذ كل يوم في التطواف بحلقات الدروس يتساءل من الطلبة المتقدمين عن كتاب يشتريه ، ودرس ينتظم في سلك طالبيه . حتى اذا تيسر له ذلك بعد الذي تقدم من الحيرة والتعب وضياع الوقت وحضر احد الدروس أخذ يقلب طرفه فيما بين يديه ، ويجدد أذنيه لسماع ما يلقي عليه ، فلا ينظر الا نقوشاً لامقدرة له الا على النطق بها دون أن يعقل لها أقل معنى . ولا تقع في أذنه الا ألفاظ هي أشبه بالرطانة منها بما يتكلم به الناس فيظل سنته الاولى وهو يروح الى الدروس كما يغدو اليها خاليا من الفائدة مجرداً من

www.alukah.net شبكة الألوكة

فهم أي شيء مما يتلوه عليه معلمه اللهم الا أن يحفظ بعض كلمات مثل : ضرب زيد ، وقتل بكر عمراً : وتابط شراً : وقال رحمه الله تعالى ، الخ .. هذ مبلغ ما يصل اليه الطالب من اختلافه الى دروس النحو في سنته الاولى — وأريد قبل أن أسلك بالكلام الى دروس الفقه أن اقول كنت أود أن أطلعك على جميع ما يشتغل به الطالب من الكتب على المذاهب الاربعة الا اني لا أرى في استقصائها كبير فائدة بل الاحسن ان أفصل كتب مذهب واحد واخترت أن يكون الحنفي لأنه الاشهر ، وان لم يكن الاكثر ، ثم أنت تقيس ما بقي من الكتب في المذاهب الاخرى عليه لما بينها من المشاكلة التامة في صناعة التأليف وأسلوب التحرير ،

وما حصل عليه في سنته الأولى من النحو يحصل على ما يشاكله في الفقه . وأول كتاب في النحو يسمونه الكفراوي وما يقابله من الفقه يسمى مراقي الفلاح . اما الكفراوى فقد وضعه صاحبه شرحاً لمتن صغير اسمه الاجرومية مشوش العبارة مختصراً جداً

واما مراقي الفلاح فهو كتاب يقتصر من الفقه على العبادات فقط وهو على ذلك مجلد ضخم سلك به مؤلفه مسلك الإسهاب والإطناب . على انه على ما به من التطويل يعد أحسن كتاب في الفقه هناك . وتصارى القول ان الطالب يقطع شهور سنته الأولى كلها ولا يعلق بذهنه ما يستحق ان أذكره لك . وانما هي كلمات يسمعها فتمر عليه مر الخيال الناري — ثم يدخل في سنته الثانية وهو على هذه الحال فيأكل أيامها وهو بالحيرة والذهول لقصور ذهنه عن ادراك أيّ شيء مما يسمع أو يقرأ . وكثيراً ما يلحق الطالب أو أهله القنوط من النجاح فيخرج من هناك ليحترف . ولا كتب يحضرها في سنته الثانية على الغالب الا ما أمضى فيها سنته الأولى وسيره فيها لا يتميز عن السنة الفائتة الا بكونه وصل الى أن يعرب جملا بسيطة معلومة حفظ اعرابها حفظاً على غير فهم ولا تفكر . ويعرف بعض أسماء الائمة وشيء من الاصطلاحات الفقهية في الفقه ، ثم يتدرج من هاتين السنتين الى السنة الثالثة وفي أولها يكون قد أثر في ذهنه كثرة ما يرد عليه من تعقيد الجمل وتشويش العبارات تأثيراً يحمله على الجلد والتصبر على تلك الاساليب وربما فهم اذ ذاك بعض الجمل بعد ان ينصب نفسه ويتعب فكره كل التعب وينتقل حينئذ من الكفراوي الى كتاب يسمونه (الشيخ خالد) وهو كتاب أصغر في الحجم من الكفراوى وأسهل منه عبارة ولكن يظهر أن سهولته لم ترق للاشياخ هناك فانبرى له بعضهم وعلق عليه حواشي من المفروض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على الطالب الازهري أن يكد ذهنه في فهمها ولم أر في عالم الله كتاباً يكد الفكر ويتعب القارئ في فهم عباراته المشوشة المضطربة مثل ذلك الكتاب . ويقابل هذا الكتاب من الفقه في هذه السنة كتاب (الطائي) أخو تلك الحاشية في فساد العبارة وسماجتها وقبح تحريرها ركب به مؤلفه أسلوباً لم أر مايشاكله في كل ماوقع لي من مؤلفات العرب فهو يحذف مايلزم اثباته ويكتب ما من حقه الحذف ويؤخر ماله التقديم ويقدم ما من شأنه التأخير

وأعجل اليك قبل أن أرتقي الى ذكر الكتب الفقهية الكبيرة ببيان ان هذا الطالب الضعيف يفاجأ في هذه المدة بتلك الابواب الطويلة المحشوة بالخلاف وتضارب آراء الأئمة فيما لايعود بأقل فائدة على التلميذ ولا ينتظر أن تكون منه فائدة لغيره مثل أبواب العتق والرق الخ وهناك أبواب أخرى فتحها نافع ولكن توسعتها ضارة لأن مؤلفي تلك الكتب خرجوا بها عن دائرة التشريع الى بيداء واسعة من الخيال المحض فلا تكاد تنظر في باب من أبواب الطلاق مثلا حتى ترى الكثير من الصور الغريبة النائية عما يقصد الشرع في كتاب الله الحكيم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما جرى عليه أصحابه وأئمة السلف في الصدر الاول من الاسلام .

على ماقدمت ينتهي التلميذ من دوره الاول ولو أتي بغلام سليم الفطرة الى معلم حكيم في التعليم وأخذ يملي عليه كل يوم قليلا من النحو والفقه ويفهمه اياه حق التفهيم لبلغ في ثلاثة شهور من التحصيل الى أضعاف مايبلغه طالب الازهر في ثلاث سنوات .

الدور الثاني : اذا خرج الطالب من هذا الدور وهو على ما مر بك وأخذ يدخل في الدور الثاني كان أول شيء يبدأ به أن يضم الى درسي النحو والفقه درساً أو درسين في التوحيد أو المنطق أو البلاغة أو العروض واختيار الطالب أي فن من هذه الفنون أمر موكول الى المصادفات التي تسوقه الى أي فن منها وكثير من الطلبة لايمد عينيه الى تلك العلوم الا بعد مضي ست سنوات ولا أريد ان أذكر لك الآن ماهي هذه الكتب وما يستفيده الطالب منها بل ادع ذلك لفرصة أخرى وآتي لك قبل ذلك على وصف مايشتغل به من الكتب في العلمين الأصليين عندهم الفقه والنحو

وأول كتاب يفتحون به السنة الرابعة في الفقه كتاب يقال له (متلا مسكين) يقضي فيه الطالب على الطالب سنتين ومتلا مسكين هذا كسائر ماتقدم من الكتب محشو بالحواشي الكثيرة على غير جدوى والتعمق في فروع تنقضي الاعمار ولا تقع ولا

www.alukah.net إحدى شبكة الألوكة

يحتاج اليها غير انه يمتاز عن تلك الكتب بالحطأ فيما يورده من قول أئمة المذاهب الأخرى في معترض الرد عليهم وتزييف أقوالهم . وهو مالا يكاد يخلو منه كتاب أو باب من الابواب . بعد ان يتم المسكين (مثلا مسكين) يأخذ في تلقي كتاب بعده يقال له (العيني) وهو كتاب بلغ به صاحبه حد النهاية من الحطأ والغاط والتمحل في تزييف مذهب الامام الشافعي واختراع الصور الفقهية ولا يكاد يأتي الطالب على آخره وفي صدره شيء من جوهر العلم اللهم الا تلك الصور الذهنية والمسائل الخياليه والمماحكات اللفظية وحفظ أسماء أغلب من اشتغلوا بهذا الفن لكثرة مايرد من اسمائهم في صدد الخلاف ، وان تعجب فعجب بل ألف عجب اتفاق أكثر جماعة الازهر وجل مشايخه على استحسان هذا الكتاب وامتداح كل من حذا حذوه في صناعة التأليف . ر ندي ان ذلك كاف لبيان ماهم عليه من الذكاء والنبل وماوصلوا اليه من العلم والفضل . ويشتغل الطالب فيما يقابل ذلك من النحو في الدور الثاني بثلاثة كتب — الازهرية والقطر والشذور . أما الازهرية فكتاب سهل العبارة اقتصر من النحو على المبادئ الا أنه مبتلى كاخوانه بحاشية خط فيها مؤلفها في أغلب المواضع عما هو بصدده . وأما كتابا القطر والشذور فكلاهما درة متلألئة بين اطمار بالية ألفهما ابن هشام رحمه الله غاية في حسن العبارة وانسجام الاسلوب لم يترك قاعدة يحتاج اليها الطالب الا أتى عليها في هذين الكتابين . ولو اقتصر الازهريون على قراءتهما مجردا من الحواشي والتقارير لحصل الطالب منهما على الغرض المقصود من النحو . ولكن الأمر على عكس ذلك فقد وضع بعض الأشياخ على كل كتاب حاشية لم يقع طرفي حتى اليوم على عبارة أبرد ولا اسمج من عباراتها وقد سلك بها طريق التعسف والتعقيد حتى صارت سجفا يحول بين الطالب وما توخى بيانه المؤلف رحمه الله . ومن غرائب الاتفاق ان وقعت في يدي اليوم حاشية القطر فكانت أول جملة وقع طرفي عليها من غير قصد ما كتبه صاحبها تعليقاً على بيت اورده المؤلف وهو :

(الا يا أسلمي يادار مي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر)

(قال المحشي) الاحرف استفتاح واسلمي فعل امر ومي اسم امرأة والبلى مقصور مكسور المراد به الاندراس والفناء اى اسلمي وان كنت قد بليت . ثم قال بعد كلام واعتراض على الشاعر أنه لم يحترس لان دوام المطر يخرب الدار . واجيب بانه قدم الاحتراس في قوله اسلمي وبأن ما زال تقتضي ملازمة الصفة للموصوف مذكان قابلا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لها على حسب قابليتها ثم قال وقد ضمن بعضهم هذا البيت حيث قال

اليك اشتياقي يا كنافة زائد فمالي غناء عنك كلا ولا صبر

فلا زلت اكلي كل يوم وليلة ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

(والكنافة) اشهى الحلوى للمصريين . هذا ما يشتغل به الطالب هناك في مدة ست سنوات من النحو والفقه وأقسم لها الاخ اني لم أر حتى ساعتي هذه ممن بلغ السنة السادسة وحضر تلك الكتب في النحو من يحسن أن يكتب سطراً واحداً او يقرأ جملتين بغير لحن وغلط وأريد أن أختم هذه الرسالة الآن مقتصراً على ما ذكرت وفي الرسالة الآتية ترى البقية الباقية والسلام عليكم ورحمة الله

آثار علمية أدبية

﴿ رسالة الكسائي في لحن العوام ﴾

ظفر بها الباحث الالماني (بركلمن) وطبعها في المانيا وأهدى نسخة منها الى صديقنا أحمد زكي بك الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار فرأينا أن ننشرها في المنار لما فيها من الفائدة للكتاب والطلاب وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين . اللهم صلّ على محمد وآله الطاهرين . هذا كتاب ما تلحن فيه العوام مما وضعه عليّ بن حمزة الكسائي للرشيد هُرون ولا بد لأهل الفصاحة من معرفته .

تقول حَرَصت بفلان بفتح الراء . قال الله عز وجل « وما أكثرُ الناسِ ولو حَرَصْتَ بمؤمنين » ولا تقول تحرَص بفتح الراء . قال الله تعالى « إنْ تَحْرِص على هُدَاهم فإنّ اللهَ لا يَهْدي من يُضِلُّ » . وتقول ما نقمت منه الا عجّلته بفتح القاف لايقال غيره قال الله عز وجل « وما نَقَمُوا منهم الا أن يؤمنوا بالله » . وتقول دعه حتى يسكت من غضبه بالتاء ولا يقال بالنون يسكن (١) قال الله عز وجل « ولما

(١) م ر من عدّى سكت الغضب بمن ولم يستشهد له وانما الشاهد في الآية معدّى بعن . وقد فسر (سكت) الزجاج وغيره بسكن . وقيل إن الكلام على القلب أي سكت موسى عن الغضب . وذكر الزمخشري الحرف في مجاز الاساس فقال :

الإهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سكت عن موسى الغضبُ » . وتقول قد نَفِدَ المالُ والطعامُ بكسر الفاء قال تعالى « قل لو كان البحرُ مِدادًا لكلماتِ رَبّي لَنَفِدَ البحر » . وتقول عجزت عن الشيء بفتح الجيم ومنه قوله تعالى ذِكْرُه « أَعَجَزْتُ أَنْ أكونَ مثلَ هذا الغراب » وتقول كسرت ظفُر زيد بضم الفاء والظاء جميعا(١) قال الله تعالى « وعلى الذينَ هادُوا حَرَّمْنا كلَّ ذي ظُفُرٍ » وتقول قد صرفت فلانا وقد صرف وجهه بغير ألف ولا يقال أصرفت فلانا قال الله عز وجل « ثم انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهم » وتقول قد أَصْرَفَت الكليةُ اذا طَلَبَت الماظَلَةَ . وتقول قد استدّت البطانة بكسر الباء(٢) قال الله جل ذكره « يا أيُّها الذين آمنوا لا تَتَّخِذُوا بِطانةً من دُونكم » وتقول لنا على المضيّ الي فلان(٣) بتشديد الياء قال الله تعالى « فَما استطاعوا مُضِيًّا ولا يَرْجِعون » . وتقول شكرت لك ونصحت لك ولا يقال شكرتك ونصحتك . وقد نصح فلان لفلان وشكر له . هذا كلام العرب قال الله تعالى « واشكروا لي ولا تكفرون » . « ولا ينفعكُمْ نُصْحِي إن أردتُ أَنْ أَنْصَحَ لكم » . وتقول عَسَيْتُ أن أكلّم زيداً بفتح السين قال الله عز وجل « فَهَلْ عَسَيْتُمْ إن تَوَلَّيْتُمْ أن تُفْسِدُوا في الأرض » . وتقول قد أوريتُ فلانا موضع زيد ولا يقال أوريته فإنه خطأ قال الله تعالى « ولَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كلَّها » وقال أيضاً « رَبِّ أَرِني أَنْظُرْ إليكَ » وتقول قد أوريت النار اذا أشعلتها بالواو وقال تعالى « أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ التي تُورُونَ » وقال عديّ بن زيد في شاهد ذلك :

وطُفِئَ حديثَ السُّوء بالصمت ... إنه متى تُورِ نارًا للعتاب تَأَجَّجا(١)

« وسكن عنه الغضب والحزن وكل ماله أثر ناطق » ففهم وجه الجوّز وقال السكاكي انه استعارة تبعية . وقرأ معاوية بن قرة في الشواذ (سكن) بالنون فهو ليس خطأ

(١) هذه هي اللغة الفصحى ويقال ظفر بضم الظاء وكسرها مع سكون الفاء .

(٢) في اللسان السَّدد القصد في القول والوَفق والإصابة وقد تسدّد له واستدّ . وبطانة الانسان خاصته الذين يفضي اليهم بأسراره مأخوذ من بطانة الثوب (٣) الجملة غير ظاهرة ولعلها في الاصل استفهام (١) كذا ضبط (طفء) في الاصل والمعنى يقتضي انه من المهموز والمعروف اطفأ النار . ثم رأيت اللسان والتاج روياه (وأطفء) وتأجيجا أصله تتأجج مجزوم وحذف التاء قياس

ويقال وقع القوم في صَعُودٍ وهَبُوط وحَدُورٍ. فتوحات الأوائل وكذلك السُّحُور سحور الصائم (١) والفطور أيضاً على مثال فَعُول قال الله عز وجل «سَأُرْهِقُه صَعُودًا» وكذلك الرُّكوب قال الله تعالى «فمنها رَكُوبُهم» . وتقول شُدَّ ثوبك وشُدَّ عليه بضم الشين قال تعالى «فَشُدُّوا الوَثاق» وتقول ذَرْهُ ودَعْهُ وذَرِ الأمر ولا يقال: وَذَرْتُه ولا وَدَعْتُه قال الله «ذَرْهُمْ يأكلوا ويتمتعوا» ولا يقال منه فعلته ولكن تركته . وتقول جَهدت به كل الجُهد والجيم الأولى مفتوحة والثانية مضمومة قال الله «والذين لا يَجِدونَ الا جُهْدَهم» وتقول دَمَعَت عيني بفتح الميم وبخصت عينه بالضاد ولا يقال بخست بالسين (٢) إنما البخس والنقص ان تنقص الرجل حقه . وتقول وَدِدْتُ أني في منزلي بكسر الدال الاولى قال بعض الأعراب :

أُحبّ بُنَيَّتي وودِدت أني ... حفرت لها برابية قَبِيرا (٣)

﴿ المدايا والتقاريظ ﴾

(الصراط المستقيم) كثرت شكوى الباحثين في الاصلاح — ورأسه إصلاح التربية والتعليم — من كتب القرون المتوسطة وما بعدها وعورة مسالكها وصعوبة أسلوبها وعدم موافقتها للتعليم فقيّض الله تعالى لهم من أنفسهم من يسعى في إحياء كتب السلف ليستعان بها على إحياء اللغة والدين، ومن يشتغل بتأليف كتب جديدة يستعان بها على التربية والتعليم . فينا جمعية إحياء العلوم العربية تشتغل بطبع المخصص وتسعى باستنساخ مدونة الامام مالك وكتاب الأم للامام الشافعي لتطبعهما ومنذ هذه المجلة يشتغل بطبع (دلائل الإعجاز) بعد طبع (أسرار البلاغة) اذا بالشيخ أحمد زناتي ناظر مدرسة القبة الخديوية وأستاذ العربية والدين فيها يؤلف الكتب القريبة التناول في التعليم القوية التأثير في علم الدين

وأكبر مؤلفاته نفعا، وأحسنها صنعا، كتاب في علم الدين سماه الصراط المستقيم: وقد جعله ثلاثة أقسام قسم في العقائد وقسم في العبادات وقسم في الآداب . وفي

(١) السحور ما يؤكل وبالضم فعل الاكل وقت السحر . ومثله الفطور (٢) أنكر البخس بمعنى النقص الازهري والمصنف وأثبته الاصمعي وقال إنه لغة كالبخز

(٣) كذا ضبطها الطابع ولا يصح ولعلها تصغير قبر . وفي هامش النسخة المطبوعة لفظ (حَفِيراً) وهو بمعنى القبر

www.alukah.net

كل قسم فصول في الواجبات الاعتقادية والعملية والأدبية، يبتدئ الفصلَ بالآيات الكريمة الواردة في الواجب الذي يتكلم عنه فيه ثم يأخذ الحكم عما تهدي اليه مع بيان معناها . فهكذا يجب أن تكون كتب الدين لتطمئن بها القلوب ، وتؤثر في النفوس ، وقد التزم في الكتاب بيان أسرار العبادات والآداب الدينية ، ومنافعها الدنيوية والاخروية ، وبعد فراغ المؤلف من كتابه عرضه على الأمير العباس أيده الله تعالى فسرَّ به وأمر بأن يطبع على نفقة الخاصة الخديوية فطبع في المطبعة الأميرية طبعاً متقناً على ورق جيد وجعل في جانب كل صفحة منه جدولين يذكر في أحدهما بإزاء الآيات القرآنية التي افتتحت بها الفصولُ اسمَ السورة وفي الثاني عدد الآية ولو كان هذا البيان عامًّا لجميع الآيات القرآنية في الكتاب لكان النفع أتم . وصفحات الكتاب ٤٠٠ وثمنه ١٢ قرشاً صحيحاً

(الهداية الى الصراط المستقيم) اختصر المؤلف كتاب الصراط المستقيم بكتاب سماه بهذا الاسم وهو مثل الأول في ترتيبه وأسلوبه الا ان حجمه نصف حجمه والغرض من الاختصار ان يكون المختصر كتاب تعليم يرتقي منه التلميذ الى المطول ويهتدي بتلقي هذا دراسةً الى فهم ذاك بنفسه . وقد طبع الكتاب الثاني على نفقة الخاصة أيضا وفق الله مولانا الأمير ، الى مافيه احياء العلم والدين . وثمنه ثمانية قروش صحيحة فنحث كل من يطلب فهم الدين على مطالعة الكتابين

(حجج القرآن) كتاب من أجل ما كتب علماء الاسلام في خدمة الدين للامام أبي الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي جمع فيه الآيات القرآنية التي تحتج بها الفرق المفترقة من الاسلام في المسائل المختلف فيها بينهم ليعلم الناظر في الحجج مجتمعة لديه ، ممثلة أمام عينيه ، أيها أحق بالقبول ، وأدل على المدلول ، وقد ذكر في فاتحته ان أصل الفرق ثمان — الجبرية وفي مقابلتها القدرية . والمرجئة وفي مقابلتها الوعيدية . والصفاتية وفي مقابلتها الجهمية ، والشيعة وفي مقابلتها الخوارج . قال ، ومن هذه الفرق الثمان تشعبت الفرق الثلاث والسبعون ، أي التي ورد بشأنها الحديث المشهور . وابواب الكتاب ثلاثون بابا في كل باب فصول كثيرة جمعت المسائل المهمة المختلف فيها . وانا نعتقد انه يعسر على كل عالم ان يفهم الحق في هذه المسائل بدون ان يطلع على هذه الآيات التي يحتج بها كل فريق على رأيه ولا نعرفها مجموعة في غير هذا الكتاب . لهذا نقول ان إحياء هذا الكتاب خدمة جليلة للاسلام . فجزى الله الشيخ أحمد عمر الحمصاني الازهري خير الجزاء ان طبعه ونشره بين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الناس بثمن بخس وهو قرشان صحيحان . ومن طلبه من الخارج فليرسل مع الثمن قرشاً لأجرة البريد . وهو يوجد في ادارة المنار بمصر وفي مكتبة هندية ومكتبة المليجي ومكتبة الرافعي ومكتبة المؤيد ومكتبة الهلال

(حياتنا التناسلية) أو « دليل المتزوج وطبيب المتزوج » كتاب يدل اسمه على موضوعه مؤلفه الطبيب سعيد ابو جمرة الذي نال الطب في المدرسة الكلية ببيروت واتمه في كلية (ماريون سمس) في الولايات المتحدة . هو يبحث عن اعضاء التناسل في الذكور والأناث وما يعرض لها من العلل والامراض قبل الزواج وبعده . وعبارته سهلة يفهمها كل قارئ ولا غنى لقارئ عنها فان أكثر الناس عرضة للامراض والأدواء التي تتولد في هذه الأعضاء أو في البدن كله من استعمالها فيما يحرّمه الدين والطب (وكل ما ثبت ضرره طباً فهو محرم شرعاً) ومن ذلك العادات الضارّة التي تكون من الشبان في حال الانفراد ويحسبونها هينة وما هي بهينة وانما هي علة العلل للادواء والأمراض القاتلة . ولو علم الناس ما وراءها لأعلنهم العلم على مغالبة الشهوة ، ومحاربة اللذة ، لأنه هو الركن الركين ، بعد تربية الدين ، وأين التربية الدينية من قوم يذكر أطباؤهم ومرشدوهم عجائب صنع الله تعالى وحكمه وآياته في الآفاق وفي أنفسهم فيسندونها الى شيء مجهول يسمونه « الطبيعة » ولا يسندونها اليه جلّت قدرته كما فعل صاحب كتابنا هذا . واننا لا نرى في هذا الكتاب غير هذا العيب . ونقول على كل حال أنه ينبغي لأهل كل بيت اقتناء هذا الكتاب ومطالعته والاستعانة به على تربية الاولاد . وهو مطبوع في مطبعة الهلال وعدد صفحاته مئتان ونيف وثمنه ١٢ قرشاً مصرياً ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

(نيل الأرب في موسيقى الافرنج والعرب) الموسيقى فن من الفنون التحسينية يرتقي في الامم بارتقاء المدنية والحضارة ويتدلى بتدليهما . والميل اليه طبعي في الانسان بل الميل الى حسن توقيع النغم معهود في الحيوان الأعجم . ولقد كان للعرب حظ منه أيام مدنيتهم فذهب بذهابها . ولما دالت الحضارة الى الأمم الغربية ارتقى عندهم هذا الفن حتى صار ركنا من أركان الفنون الحربية ، كما انه ركن من أركان التربية النفسية ، وكان من موضع العجب أن المصريين اشتغلوا بتقليد الأفرنج من زمن طويل وأخذوا عنهم كثيراً من علومهم ولكنهم لم يضعوا لنا كتاباً مصنفاً أو مترجماً في فن الموسيقى حتى ظهر هذا الكتاب في هذه السنة لمؤلفه احمد افندي امين الديك . ومن عرف المؤلف يحكم بأنه انما ألف هذا الكتاب بباعث طبيعي وشعور بأن قومه في حاجة الى هذا الفن وانه

أراد أن يكون البادئ بسد هذه الحاجة. وانما قلنا هذا لأنه شاب بعيد من التفرنج ومذاهبه متمسك بالدين عملا وآدابا على ان الشائع في قومه ان الموسيقى من الفنون المذمومة في الدين . وما المذموم في الدين الا هذا التخت الشائع عندهم في الغناء . أما الموسيقى فهي نافعة في الحرب والآداب والاخلاق . هذا وأننا لا نحكم على الكتاب من الجهة الفنية لأننا نعترف مع الخجل بأننا لا نعرف الفن . والكتاب مطبوع بالرسوم وأشكال (النوتة) بالمطبعة الأميرية وثمنه خمسة قروش .

(الاتجار بالنساء) هي القصة العاشرة من (روايات عساكر) المصرية بقلم حسن افندي توفيق الرجوي من ضباط البوليس ومعرب كتاب (التربية الحديثة) وقد صدّر القصة صاحب مطبعة الشعب بكلمة للصحافة المصرية يطالبها فيها بانتقاد هذه القصص التي يقصد بنشرها خدمة الأمة . وينتقد تقريظ الجرائد بمدح كل كتاب او قصة تنشر وتمهي الرواج لها .

الانتقاد واجب وان كان يسيء ناشري الكتب كما جربنا . واذا لم يسمح وقت أصحاب الجرائد وكتابها بقراءة الكتاب كله او بعضه فلا يجوز لهم تقريظه لان التقريظ حكم لا بد فيه من العلم بالمحكوم عليه . ولقد طالعنا قصة الاتجار بالنساء هذه ظناً منا أن الذي حمل ناشرها على تقريضها للنقد هو ثقته بأنها تعلو عليه لما فيها من الإرشاد النافع فألفيناها مشحونة باخبار الفسق والفحش والكيد وسفك الدم والانتقام . ومثل هذه الحوادث التي تشرحها القصة يؤثر الكلام عنها في النفس أسوأ تأثير ويكون غذاء رديئاً للنفوس المستعدة للشرور لأنها لم تتربَّ تربية صالحة . وأين التربية الصالحة في هذه البلاد ؟ يحتج ناشرو أمثال هذه القصة بأنها لا تخلو من بيان سوء عاقبة المجرمين . ونحتج عليهم بان الكتابة في تمثيل عواقب الجرائم والمآثم يشترط فيها أن يكون ما يكتبون فيه شائعاً فيمن يكتبون لهم بحيث تفيدهم الكتابة عظة وعبرة ولا تزيدهم علماً بوجوه المنكرات وطرق السيئات . لان مالا شبهة فيه ان كل قارئ يوجه فكره الى ما يناسب طباعه ورغائبه من الكلام ويغفل عن غيره . والجرائم المشروحة في هذه القصة اتأت على الشرط بخلاف قصة (الحال والمآل) التي قرظناها من قبل فانها جاءت على الشرط لانها ذكرت منكراً معروفاً فاشياً في مصر وبينت سوء عاقبته فلذلك أثنينا عليها وانكرنا على هذه ولئن كلا النوعين في الموضعين يكون حاملاً على الرغبة عن المنكر الى الرغبة في النافع والله الموفق

(روايات الحداد) أحسن القصص التي تنشر في مصر لهذا العهد عبارة وأسلوباً فقيد التحرير نجيب أفندي الحداد وقد اجتزنا البداية بأن منها منذ الشهر الماضي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

احداها واستبدل الاخرى أحد اصدقائنا ولم يعدها فكتبنا هذه الكلمة للايتوهم المهدي أننا أغفلنا تقريظهما احجافاً بحقه

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(ألقاب التعظيم) سرت الى الكتابة العربية والى أهل العربية عادة من عادات الأعاجم المفضولة وهي اضافة القاب التعظيم والتبجيل الى أسماء الاشخاص عند ذكرهم في القول والكتابة . ولقد أسرف الناس في هذه الألقاب حتى ألحقوا بها المفضول بالفاضل ، وساووا العالم بالجاهل ، وانا كنا نألم لاتباع عادة الجرائد في ذلك على تحرينا القصد فيها وترى النفس تنزع الى اتباع سلفنا فيه ولكننا نرجئ ذلك حتى كان في هذا الجزء أن كتبنا نبذة من رسالة الكتاني وذكرنا في ترجمتها اسم طابعها واسم المهداة اليه مقرونين بألقاب التعظيم المألوفة ثم لم نلبث ان نقلنا اسم الكتاني وهو من أئمة العلم وهرون الرشيد وهو من أعظم الخلفاء بعد الراشدين ولم نرهما مقرونين بلقب ، فنبهت النفس الى ما كانت تنزع اليه وأمرت بترميج تلك الألقاب التي كانت كتبت قرمجت . ونحن بعد اليوم لا نذكر مع اسم أحد الا اللقب الذي يميزه في نفسه أو صنفه كالشيخ والبك والأفندي ، ومن كان غير معروف للقراء نعرفه بجملة خبرية لا بألقاب مفردة يتمتع بها نعتاً ، وتنظم مع اسمه عقداً . ويدخل في هذه القاعدة أساتذتنا وأمراؤنا . فاذا نقلنا قولاً عن أستاذنا الأكبر (ولفظ الأكبر هنا بيان للواقع) نقول : قال الشيخ محمد عبده أو مفتي الديار المصرية . واذا كان الكلام عن الجمعية الخيرية نقول : قال رئيس الجمعية . ولكننا اذا أسندنا اليه قولا من غير ذكر اسمه فانما نشير اليه بلقبه الذي اشتهر وهو (الاستاذ الامام) بالتعريف . وانما سبق لنا تعريفه بلقبين لأن لفظ (الاستاذ) وحده ينصرف في كتب الكلام والاصول الى الشيخ أبي اسحق الاسفرايني ولفظ (الامام) وحده ينصرف الى فخر الدين الرازي ولفظ (الشيخ الامام) أطلقه تاج الدين السبكي في كتبه على والده الشيخ تقي الدين . فعندما استقر رأينا على أن نجعل لاستاذنا الذي يكثر نقلنا عنه لقبا مختصراً يغني عن ذكر اسمه ووظيفته اخترنا هاتين الكلمتين لانه لم يشتهر بهما أحد . وقد عرف ذلك قراء المنار في جميع الاقطار لذلك نقرره بشرطه

(كلمة في المنار) قد كتبنا مرات متعددة على غلاف المنار بأنه لا حق للمشترك ان يطلب جزءا من المنار لم يصل اليه بعد صدور ما بعده . ثم رأينا بعضهم يحتج

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بأنه اذا تأخر جزء يتوهم أنه لم يصدر فلا يعرف أنه قد صدر الا بعد وصول ما بعده اليه . لذلك رأينا أن نمدّ فى الوقت فنجعله عشرين يوماً فى القطر المصري . فمن طلب الجزء الذى يصدر فى أول الشهر مثلا في الحادى والعشرين منه فما بعده فعليه ان يرسل ثمنه ٢٥ مليما سواء كان قد صدر الجزء الذى بعده أم لا . ومن وصل اليه الجزء فأضاعه أو وهبه فلا يجوز له ان يطلب بدله الا بالثمن . وربما يمدّ بعض القراء هذا تشديداً في موضع التساهل ولكنه اذا علم أن الطالبين للاجزاء المفقودة كثيرون جداً وان كل جزء نرسله يضيع علينا مجموعة سنة كاملة فانه يعذرنا لا محالة

(سكة الحديد الحجازية) أخبرنا من شاهد العمل في هذه السكة واختبره بنفسه أن الهمة المبذولة فيه عظيمة وان الآلات والأدوات الحديدية والخشبية التي في بيروت والشام كافية لإيصال الخط الى مكة المكرمة وأن مهندساً المانيًّا هناك قال : إن هذا الخط أمتن وأحسن من خطوط الحديد في انكلترا . ومع هذا كله لا بد لإتمام العمل من أربعة ملايين جنيه . وهو مبلغ لا يرجى له الا سخاء صاحب المشروع الذي يخلّد له بتمامه على يديه أشرف الذكر وهو مولانا السلطان وفقه الله تعالى لما فيه خير الأمة والدولة . ومما ينتقده جميع الذين شاهدوا العمل أمر التضييق على العسكر المشتغلين به فانهم لا يجدون ما يكفيهم من الغذاء والدواء وهم يعملون بجلد وثبات حيّر المهندسين الأوربيين والوافدين المتفرجين . وقد علمنا أن الرئيس الذي يدير العمل من خير الناس فعسى أن يوفق للمحافظة على صحة اولئك الجنود المساكين .

(الأذان السلطاني) بلغنا أن شيخ الجامع الأزهر أنكر في جامع القلعة هذا الآذان في الليلة السابعة والعشرين من رجب التي احتفل فيها بقراءة قصة المعراج . وكاشف بإنكاره مفتي الديار المصرية واتفقا على النهي عنه فنهيا فعسى ان يؤثر ارشادهما في محو هذه البدعة السيئة

﴿ نصيحة للقارئات ، ومن يسمع من الأميات ﴾

إن من خلائق الأنثى وسجاياها ما هو عون للسفهاء على إغوائها وهو انها تحب دائماً ان تكون موضع الاعجاب والاستحسان . ولذلك يتملق اليها المتصبصون ويخادعونها بالمدح ، والغواني يغرهن الثناء ، حتى يستميلوها اليهم ويهينوا شرفها بالمغازلة على الأقل . ومن الضعف في الأنثى ان تعتقد ان كل من يرمي ببصره اليها يكون مستحسناً لها ، ناهيك بصاحب التحديق ونظر الترنيق وهو نظر العاشق المتهتر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عادة والمبصبص المتملق اختلابا وخداعاً فانه يفر الفتاة الغرّ ويقع من قلبها موقع السهم الذي يرمي بالسم، وقد ورد في الحديث « النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه » رواه الحاكم وصحح اسناده .

بلغ النساء عندنا من الغرور بتطلع السفهاء اليهن انك تجد نساءنا يتلفتن في الاسواق ماشيات ، ويتخنين وهن في المركبات ، وقد يكنّ مع هذا من المحصنات النزيهات ، وان هو الا حب توجيه الانظار ، واعجاب النظار ، وترى نساء الافرنج يمشين قاصرات الطرف ، مستقيمات العطف ، تحسبهن في ادبهن الظاهر من الملائكة المقربين ، وان كان فيهن من هن اغوى من الشياطين ، وما ذلك الا لانهن تربين على ادب الاجتماع ، وتعلمن مايبعد بهن عن سرعة الانخداع ، وان الظهور في المنكر ليزيد في ضرره لما فيه من اغواء الناس وتسهيل سبله على من لا يعرفه ولذلك ورد في الشرع ان المعصية الصغيرة تكون كبيرة بالمجاهرة ونرى القوانين الوضعية عند الأمم كلها تحظر الجهر بما ينافي الآداب حتى ماتبيحه منه في السر

السبب في هذا التبرج والتفنج ، والتشوف والتقصف ، والانثناء والانحناء ، الذي يزيد في فساد السفهاء ، هو حبّ الانثى لان تكون زينة في الاعين وشغلا للقلوب . وانها لتكون كذلك في جميع الاعين وجميع القلوب اذا ظهرت بمظهر الكمال والصيانة ولم تلتفت لكلاب المبصبصين ولم تكلمهن اذا تعرضوا لمكالمتها فان هذه الاماديح التي تسمعها منهم تنقلب الى ضدها بعد ان تبعد عنهم فلا تسمع مايقولون ، فان سفهاء الناس وغوغاءهم لا يزالون يعرفون قيمة الفضيلة ويحترمون اهلها

هذا اللين في العطف والخضوع في القول قد اطمعا أصحاب القلوب المريضة في كل امرأة تمر في الطريق فلا تكاد تسلم من سفههم او عبثهم امرأة ولا يعهد مثل هذا المنكر في مدينة ولا قرية مثلما يوجد في هذه البلدة الظالم اهلها . والعجب من ضعف غيرة الرجال التي اباحت لهم التساهل مع نسائهم حتى اباحوا لهن كل هذا

اننا ليسوءنا جداً ان نرى البنات ينشأن على مثال امهاتهن وعماتهن في هذا اللين المذموم لا فرق بين المتعلمات منهن والجاهلات . واننا ليحزننا ان نرى التلامذة الذين هم محل الرجاء ، مستقبل سنة اولئك السفهاء ، حتى انك لا تكاد تجد فرقا بين من نشأ في المدارس ومن نشأ في الطرق والشوارع . رأيت من ايام تلميذاً يمشي مع اخوانه في السوق خارجين من المدرسة فمر بامرأة فوضع يده على وجهها وعبث ببرقعها ولم ار مثل هذه الوقاحة من غوغاء الحشاشين ، فهل يفر البنات تطلع امثال هذا التلميذ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اليهن . وتصديه لاغوائهن ؟ وهل كان مغرماً بتلك المرأة التي عبث ببرقعها فكان الغرام هو الحامل له على اهانتها في السوق ؟ وهل مثل هذا الغرام — اذا فرض — مما يرغب فيه ؟

ان ما تقدم من القول هو مقدمات النصيحة التي اقدمها للقارئات والنتيجة المقصودة هي ان الإنسان يؤخذ دائماً من جهة ضعفه ومن الضعف في الانثى الانخداع لمن يظهر لها الحب والاستحسان . وان الرجال دائماً يخادعون النساء حتى ان احدهم ليثبت على التظاهر بالحب زمناً طويلا ليُصدَّق . فيجب على الفتاة المتعلمة أن لا تصدق احداً من هؤلاء الشبان الذين يظهرون لها الحب والغرام فان احدهم ليخاتل كل فتاة يراها بمثل هذه المخاتلة . ولو كان صادقاً فيما يظهر من الإعجاب بمحاسنها والرغبة في الاقتران بها وكان اهلا لذلك لكان يغار عليها من نفسه ومن غيره فلا يعاملها بهذه المعاملة ، من البصبصة والمغازلة ، ولكنه يزيد على هذه الإهانة التي تكون منه في كل طريق ، بان يحدث بها كل صديق ورفيق .

(الحسود المعمَّم) كتب ذو عمامة الى صاحب الجامعة يغريه بالطعن في صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) لأن صاحب العمامة حسد صاحب هذه المقالات على ما اوتيه من سعة العلم وقوة التأثير وعلوّ المكانة فحاول ان يطفئ نار حسده بذنوب من ذنوب ذلك الطعن الذي امربه ولكن صاحب الجامعة اعقل من صاحب العمامة وأعلم منه بقيمة تلك المقالات . وان انكر من فاتحتها ما عرف حكمته في إنشائها وخاتمتها ، وإنه ليعلم ان مثل صاحب العمامة معه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر الخ فهو لا يراه الا بعين النقص ولا يعتقد فيه الا ما يليق به في رقة عقله ودينه ، ولا يرضى لنفسه ان يكون مع صاحب العمامة كما كان صاحب الحمارة . على ان الطعن في مثل هذه الحال ، على مثل ذلك المقال ، لا يزيد المطعون فيه الا احتراما واجلالا . ولكنه يسلي الحسود لأن عقله صغير ، وفكره قصير .

(مفكرة مطبعة الموسوعات) . اخترع الافرنج هذه الدفاتر التي يسمونها المفكرة او المذكرة لاصحاب الاشغال الكثيرة من الحكام والتجار والمحامين . ولما رأت مطبعة الموسوعات ان المصريين يشترون هذه الدفاتر الافرنجية ويتعبون في كتابة التاريخ في كل صفحة منها بالعربية اصدرت في هذه الايام (مفكرة) عربية لسنة ١٩٠٣ وضمّت التاريخ الهجري في كل صفحة منها الى التاريخ المسيحي . وجعلت في آخرها جداول لتحويل النقود فجاءت خيراً من المفكرات الافرنجية ، وجعلت ثمن النسخة ١٢ قرشاً ونصفاً صحيحاً فهي ارخص من المفكرات الافرنجية وتطلب من المطبعة والمنتظر ان تصادف رواجاً عظيما

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المنار

١٣١٥

فتشرعلى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يهدي الله لمن يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٢٠ — ١٧ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٩٠٢)

المستقبل للاسلام

(بقلم صاحب السماحة السيد الشيخ محمد توفيق البكري شيخ مشايخ الصوفية[1])

الفصل الاول في رأس مال الاسلام

(المكان والسكان)

ان مستقبل الأمم يتوقف في الحقيقة على أمرين طبيعيين هما كثرة السكان وخصب المكان فاذا استوفت الأمة حظها من هذين الأمرين عظم مستقبلها بقدر ذلك مهما حرمت في الحال من الاسباب الأخرى الكسبية كالعلم والأخلاق والقوانين والحكومة وغير ذلك فان هذه جميعها يأتي بها دور الزمان . وان أخرتها آونة طوارق الحدثان . ولذلك قال (مونتسيرو) و(تين) وغيرهما أن مستقبل الصين أكبر من مستقبل أية دولة أخرى . ومن شاهد رقي اليابان وما كانت عليه الروسيا منذ ثلاثة قرون وما هي عليه الآن من ضخامة السلطان لا يشك في صواب ذلك القول المتقدم . وقد أشار ابن

(١) من قراء المنار في الاقطار النائية من لا يعرف البكري . هو من بيوتات الحسب والمجد وقد انفرد في صفه بتلقي العلوم في مدارس أوربا العالية ونيل رتبة قاضي عسكر من الدولة العلية . وهو في العربية خزانة الأدب . ولسان العرب . يشهد له بذلك شعر محل . ونثر جزل .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خلدون الى شيء من هذا حيث قال ان اتساع نطاق الدولة يكون بقدر اتساع عصبيتها في الاصل . وقال الشاعر : وانما العزة للكاثر . فاذا تقرر ذلك علمنا ان مستقبل الاسلام كبير وشأنه خطير فان حظه من هذين الأمرين وافر . وقسطه متكاثر . واليك البيان

اذا تأمل المسلم في مصور الجغرافية يجد ثلاثة عوالم قد تقسمت الارض وهي العالم الاسلامي في الوسط والعالم المسيحي عن يساره والعالم الوثني عن يمينه على هيئة قلب وجناحين . ويرى ان قسط العالم الاسلامي من هذا الاقتسام عظيم . ونصيبه جسيم فهو يمتد في فسحة من الارض بدؤها بحر الأطلنطيق . ونهايتها سيف الباسيفيك آخذة من حواشي سيبريا شمالا الى جزر المحيط جنوباً . أقاليم متصلة . وأقطار غير منفصلة . وأمصار متناخمة . وأخياف متلاحمة . وبين ذلك قصور وخيام . ودور وآطام . ووبر ومدر . وبدو وحضر . بقاع هي أطيب المعمور رقعة . وأمرعه نجعة . فيها النيل والفرات . وسيحون وجيحون . فيها أوداء مصر . وسهول الهند وميطان الصين وسواد العراقين . وبطاح الأناطول وجبالها . وريف فارس ورمالها . فيها مرقد النبي العربي الهاشمي . ووطن المسيح بن مريم . ومبعث موسى الكليم . ومهبط الوحي على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . الى غير ذلك من هواء طلق . وماء عذب . وجو صحو . حسنات وراء حسنات . تقصر دونها الأمصار . وتموت حسرة عليها الأقطار . ذهب بعض مجوس الهند الى لوندرة فقال له بعض أهلها كيف أنتم تعبدون الشمس ؟ فقال المجوسي : وأنتم لو رأيتموها لعبدتموها

* * *

ثم ان هذه السعة في الارض والبسطة في الخصب التي رزقها العالم الاسلامي أصل كبير في نمو أفراده وحسن حالهم اذ ارتباط المكان بالمكين في السعادة والشقاء والقلة والكثرة امر مقرر في علم الاجتماع الانساني . قال (لوبون) : « ما دامت الارض القابلة للزراعة كافية للسكان يتأتى لهؤلاء ان يزيدوا عدداً فيكثرون وينمون بالفعل فان تعادلت موارد الأرض وعدد السكان بقي هؤلاء على حالتهم لا يزيدون ولا ينقصون فان زاد عديدهم عن موارد الأرض وقعوا في افرة الشدائد والضيق وتواترت عليهم المصائب والأزمات الى ان تأتي حروب جارفة او اوبئة قاشرة فتعدل الكفتين » . هذه حقائق بسيطة ومع ذلك قد تغيب من افهام كبار الخواص واشهر الكتاب فلا يفتأون يطلبون كل يوم زيادة السكان بأية وسيلة كانت بلا مراعاة لما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تقدم وقد وقع في مثل هذا الخطأ (جول سيمون) وزير معارف فرنسا السابق على سعة علمه حيث قال في خطاب ألقاه على مجمع المعارف سنة ١٨٦٨ : « ان من يمكنه ان يزيد سكان فرنسا مليوناً من النفوس يفيدها اكثر ممن يزيد حدودها بعض فراسخ من الأرض بواسطة الحرب والدم بألف ضعف » وهذا كلام خلو من الصواب لأن من يزيد مساحة فرنسا يكثر مواردها فيجعل الزيادة في السكان محتمة . ومن شك في هذه الحقيقة احتاج على قول استاذ لا يشق له غبار في هذا المضمار وهو (بيليج) الشهير قال : « قد اقتضت الحال زيادة السكان في بلدان اوربا زيادة كثيرة غير طبيعية حتى اختلت النسبة بين عديدهم وبين غلات تلك البلاد فلا يمضي غير حقبة من الزمن حتى تعجز الأرض عما في بحاجاتهم مهما انهكوا قواها بمختلف الأسمدة وعندها لا يحتاج الى نظريات علمية او قياسات فنية لإيضاح الناموس الطبيعي الذي يأمر الانسان بان لا يغفل عن المحافظة على ابواب رزقه ويعاقبه العقاب الأليم عند مخالفة ذلك . ولا يكون ثمة للامم الاوربية من حيلة ولا مخلص الا ان تتفانى لتبقى فترى اذن امثال مجاعات سنة ١٣١٦ وسنة ١٣١٧ وحروب بعد ذلك تليها حتى يحمل الأمهات جيف القتلى لاطعام اطفالهم كما وقع ذلك في (حروب الثلاثين سنة) المعروفة فكل ذي دُربة وروية دقق النظر في امر ممالك اوربا ومستقبلها يجدها غير قائمة على اسس متينة بل على أسنة الإبر » اه

***

هذا : وربما ذهب بعض العارفين الى أن طبيعة أرض الشرق مفسدة للهمم ، مقعدة للأمم ، فلا تكون اذن هذه الأرضون من النعم بل من النقم ، وهذا رأي تفنده الأقيسة الصحيحة ، والآراء النافذة ، قال (فوليتر) في دحضه مانصه : « نسأل من يذهب الى أن طبيعة الأجواء يتوقف عليها حالة الأمة وأخلاقها لما قال الامبراطور (جوليان) ان الذي اعجبه من أهل باريس هو متانة أخلاقهم وأجنحتهم بالجدو الصلابة والسكون في طباعهم . وهاهي أجواء باريس كما هي وأهلها فيها الآن أخف احلاما وطباعاً من فراشة . أطفال في زي رجال ، وصغار وان كانوا كبارا . وهؤلاء المصريون الذين يصفهم لنا المؤرخون بقوة العزائم ومتانة الطباع وعظم الفتوح أصبحوا الآن امة رخوة ضعيفة العزائم ، طعمة لكل آكل ، ولم لا يوجد الآن في أثينا مثل (أناقريون) و(اوستطاليس) و(زوقسيس) . ولم استحالت زوجا عن لا شيء يزون ؟ وعن ٣ قاطون) وعن

(تنليف) قوماً بهتا لايحسنون أن يقولوا ولا أن يعملوا . أعظم أمانيهم يحصر في أن يكون الزيت رخيص الثمن لديهم . وقد كان من عادة (شيشيرون) الخطيب الروماني أن يهزأ بالانكليز ويتنادر عليهم حتى انه كتب مرة في رسالة لاخيه (أقلنتوس) الذي كان ضابطاً مع قيصر في غزوته التي غزاها بانكلترا يسأله مستهزأ ان كان وجد ثمة فلاسفة كبارا أو رياضيين عظاماً . فهلا علم (شيشيرون) أنه نشأ بعده فيها أعظم فلاسفة العالم ورياضيه تحت تلك السماء المظلمة بعينها . هذه كلها أمثلة تدل أن ليس للاقليم أثر يذكر في ارتفاع الامم وانخفاضها بل العوامل الأخرى مثل الحكومة أو الدين تفعل في ذلك أكثر منها بمائة ضعف .

***

كأن الله سبحانه وسبحانه أراد أن لا تنزع هذه البلاد الجميلة من أيدي المسلمين اذا أعجزهم الضعف يوما ما عن صونها حتى يؤوبوا الى القدرة على حفظها فجعلها شبه وقف عليهم وذلك ان جعل وسطها الطبيعي غير صالح لأن تعيش فيه الأمم المتغلبة الآن وهي الأمم الأوربية وليان هذا نقول :

قد تقرر في الطبيعيات أن الحيوان أو النبات أو الانسان اذا نشأ في وسط طبيعي لايعيش في وسط آخر غير مماثل له وأقيم على ذلك هناك البرهان . وعندهم انه كما لا يمكن للسمك أن يعيش في البيداء ، ولا للناقة أن تدوم في الماء ، ولا للنخلة أن تنبت بين صخور الجليد ، لايمكن للانكليزي أن يستوطن الهند ، ولا لابن للالمان ، أن ينبت في في السودان ، قال (لوبون) في كتاب الفسيولوجي : « ذكر بعض المؤلفين أن الانسان يمتاز عن الحيوان بكونه يعيش في كل جو وعلى كل أرض . وهذا خطأ عظيم ، ووهم كبير ، فقد أثبت التاريخ مراراً أن أهل الشمال لايمكنهم العيش في أرض الجنوب . انظر الى البربر من أهل الشمال وبلاد الجليد الذين فتحوا ارض الرومان وسكنوا أقاليمها الحارة كيف لم يمض قرن واحد حتى أفناهم الموت وأتى عليهم الفناء فلم يبق من القوطيين واحد في ايطاليا . وهذه مصر حكمتها عشرون أمة فأكلتهم وبقي الفلاح المصري كما هو على أرضه . وكذلك عجز الرومان عن أن يستوطنوا أفريقية مع انهم استوطنوا أسبانيا وأرض الجول حتى جعلوها بلاداً لاتينية بحتة . ولاريب أننا سنلاقي في الجزائر ما لاقاه فيها الرومان في سابق الزمان فتهلك هذه الارض ذراري فاتحيها مالم يفعلوا كما يفعل الانكليز في الهند من ارسال أبنائهم ليتربوا في أوربا . وبالجملة إن الانسان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إذا اختلف وسطه الطبيعي هلك وخصوصاً اذا جاء من الشمال الى الجنوب» اهـ

*** ***

جميع ما تقدم متعلق بالمكان أي مواطن الاسلام وبلاده . أما السكان وهم الامم المسلمة فحدث ولله الحمد عن حصى البطحاء ، ورمال الدهناء ، أو نجوم السماء ، كثرة آحاد ، ووفرة أعداد ، فمن هؤلاء في أفريقية ماترى :

٩ ٠٠٠ ٠٠٠	في مرّاكش
٤٥٠٠ ٠٠٠	« الجزائر
١٥٠٠ ٠٠٠	« تونس
١٤٠٠ ٠٠٠	« طرابلس
١٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« مصر
٦ ٠٠٠ ٠٠٠	« السودان المصري
٤ ٠٠٠ ٠٠٠	« الصحراء الكبرى
١٣ ٠٠٠ ٠٠٠	« السودان الذى تحت حماية فرنسا
٩ ٠٠٠ ٠٠٠	« السودان الذى تحت حماية انكلترا وفي النيجر
٥ ٠٠٠ ٠٠٠	« السودان الاوسط كواداي وباجرمي ونحوهما
١٥٠٠ ٠٠٠	« الكونغو
٤ ٠٠٠ ٠٠٠	« توبو وقامرون
٣ ٠٠٠ ٠٠٠	« الأوغنده
٣٥٠٠ ٠٠٠	« الأريطرا والحبشه
٣٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« موزمبيق ومدغشقر والكاب والزنجبار وأوبوك وأفريقيا الوسطى
١٠٥ ٤٠٠ ٠٠٠	مجموع ما في أفريقا
	وفي أوربا ماترى
٢٥٠٠ ٠٠٠	في تركية أوربا
٧٠٠ ٠٠٠	« البوسنه والهرسك
١٠٠٠ ٠٠٠	« البلغار والروملي الشرقي
٦٠ ٠٠٠	« رومانيا
٤٢٦٠ ٠٠٠	المجموع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٠ ٠٠٠	في الصرب
١٠ ٠٠٠	« الجبل الاسود
٣٠ ٠٠٠	« اليونان
٢٥٠٠ ٠٠٠	« روسيا أوربا والقفقاس
٦٨٢٠ ٠٠٠	مجموع مافي أوربا
	وفي آسيا ماتري
٧ ٠٠٠ ٠٠٠	في الاناطول
٤ ٠٠٠ ٠٠٠	« أرمينية
٢٥٠٠ ٠٠٠	« العراق
٢ ٠٠٠ ٠٠٠	« الشام
١٢ ٠٠٠ ٠٠٠	« جزيرة العرب
١٢ ٠٠٠ ٠٠٠	« العجم
١٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« روسية آسيا
٩ ٠٠٠ ٠٠٠	« أفغانستان
٥ ٠٠٠ ٠٠٠	« بلوجستان
٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« الهند
١ ٠٠٠ ٠٠٠	« سيام
٢ ٠٠٠ ٠٠٠	« الهند الصيني
٤٥ ٠٠٠ ٠٠٠	« الصين
١٩٧ ٠٠٠ ٠٠٠	مجموع مافي آسيا
	وفي الاقيانوس ماتري
٥ ٠٠٠ ٠٠٠	في فيلبين
٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« سوماطرا
٣٧٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« الجاوا
٥ ٠٠٠ ٠٠٠	« بورنيو
٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« ماليزيا وغيرها من الجزائر
٥١٠ ٠٠٠ ٠٠٠	مجموع مافي الاقيانوس

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهذه ثلاثمائة وستون مليونا من النفوس خلف لذلك السلف الذين يقول الله سبحانه فيهم « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا »

***

وهذه الأمة الكريمة ان حرمت الآن كثيراً من أسباب العلم والعمل فإنها لم يزل في أمزجتها آثار شريفة وصفات قويمة من أثر دينها وارث سلفها تمتاز به على كثير من الامم. قال القسيس (اسحاق طيلر) « ان الاسلام يمتد في أفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره، والشجاعة والإقدام من أنصاره، ومن الأسف ان السكر والفحش والقمار تنشر بين السكان بانتشار دعوة المبشرين » وقال (كونتسن) : « يمتاز المسلمون في الصين على مواطنيهم من الوثنيين برفعة في السجايا وشرف في الاخلاق قد طبعته في نفوسهم ونفوس آبائهم وصايا القرآن بخلاف الوثنيين فانهم في سقوط تام من حيث ذلك »

ومن أهم النعوت التي يمتاز بها المسلم عزة النفس فهو سواء في حال بؤسه ونعيمه لا يرى العز الا لله ولرسوله وله. وهذه الصفة التي غرسها الدين في نفوسهم اذا توفرت معها الوسائل كانت أعظم دافع لها الى التسابق الى غايات المدنية ورقيات الكمال. وان أردت فالمح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ماذا تجد من فتور في حركاتهم وقصور في هممهم وخصوصاً اذا بنى عليهم الجهل فظنوا أنهم أدنى الملل كطائفة الدهير ومانك.

***

ثم ان هذه الامم الاسلامية وان اختلفت بهم البلدان وتباينت البقاع والميطان، وتنوعت الاجناس وافترقت الألسنة فقد وحدتهم وحدة الاسلام وجمعتهم جامعة الدين وهي جامعة كبرى تتلاشى أمامها الجامعات الصغرى وتلغى الفروق فيكون جميع المسلمين بها اخوانا. قال تعالى: « انما المؤمنون إخوة » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من دعا الى عصبية » فوطن المسلمين هو مجموع الأمة الاسلامية في الدين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهو الذي قيل فيه : حب الوطن من الإيمان . (١) وليس المراد به حب التربة والمسكن والاهل والعشيرة ولو كان كذلك لما كانت الهجرة في الاسلام . ولما نطق الكتاب بالحث عليها والامر بها . قال الله تعالى : « وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » فمن قال من المسلمين في أية بقعة من الارض (وطني) فقد قال (ديني) وقال تعالى : « إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً » وقال سبحانه : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » ولهذا نرى المسلمين مهما تباعدوا او تباغضوا لا تزال تعمل هاته الجامعة عملها فيهم يسرون لسرور بعضهم ويحزنون كذلك وان افترقت بهم البلدان مابين المشرق والمغرب . وقد عظمت الصلابة في هذه الجامعة الدينية والرابطة الاسلامية حتى سماها غيرهم الآن (تعصباً) (٢)

على ان التعريف بالوطن على هذا النحو هو غاية ما ترقى اليه الامم ، وتنبعث نحو الهمم ، قال أدمون ديمولان : والمهاجر من الانكليز السكسونيين يشعر دائماً بأنه انما يرحل عن بلده مستصحباً لوطنه اذ هو يرى الوطن حيث يعيش المرء حر ثم قال : « والنصر كل النصر للامم التي وطدت أركان نظامها على دعائم هذه الوطنية »

والتعريف بالجامعة أيضاً على مثال ماتقدم سيرٌ مع سنة العمران وذلك ان أول اجتماع للانسان كان على شكل جمعيات صغيرة جامعتها النسب كبني دار وبني أسد وبني شيبان الخ ثم ارتقى الى جمعيات أكبر من الأولى جامعتها الجنسية وهي التي عليها الامم الآن ويقول العلماء انه سيرتقي الى جنسيات كبرى واحدة جامعتها الانسانية

---

(١) المنار — اشتهر ان هذه الكلمة حديث وقد نبهنا غير مرة على أنه موضوع

(٢) ان في مصر من أحداث السياسة من يكتب ويخطب لينسخ هذه الآيات الكريمة ويفرق هذه الجامعة بكلمات سخيفة مثل « الوطنية الحقة » و« الدخلاء » فهذه الوطنية الباطلة لا ترضى الاسلام والمسلمين ولا غيرهم من وطنيين ومهاجرين لأنها هضمت كل حق . أما الجامعة الاسلامية فانها تعطي كل ذي حق حقه « لهم مالنا وعليهم ما علينا » ولئن وجد شيءٌ من التعصب في بلاد المسلمين فانما وجد بتراخي مرعى هذه الجامعة العادلة كما بيناه مرارا

www.alukah.net

وترى الأمم تقرب من تلك الغاية النهائية بتأليف الأجناس المتقاربة الى جنس أعم كسي الجرمان والسكسون والسيلافي واللاتين في ذلك الآن . فاذا تبين هذا كانت الجامعة الاسلامية التي أسسنا بل لاشك جمعيات الأجناس وتقلها الى جامعة عظمى يكون فيها كل مسلم اليوم بمنزلة من ٣٦٠ مليوناً خطوة كبرى في السير نحو تلك الجامعة التي تضم أفراد الانسان والتي يسمى وراءها الا الاقل من ثلاثة عشر قرناً . (١) فشأن الجامعة الاسلامية أشبه بحال الجامعة الامريكية التي تضم الاجناس المختلفة فيها شرقاً وغرباً لتأييد مبدإ (مونرويه)

ولا يقول بعض جهلة الناس من المسيحيين ان التشبث بالجامعة الاسلامية يفقد المسلمين الارتباط بهم فانهم لو صدقوا في هذا القول لفقد المسلمون بذلك عشرة ملايين نفس هم كل المسيحيين الذين في بلاد الاسلام وكسبوا ٣٦٠ مليوناً من اخوانهم . على ان الامر ليس كذلك فان رابطة الذمة تقوم مع هؤلاء المسيحيين مقام الدين فلا يحرم الفريقان من التعاون والتعاضد للعمل وقد أمر القرآن بمزيد الحسنى معهم قال تعالى « لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ »

هذا وان الاسلام آخذ في الازدياد والنمو في اكناف الارض بكيفية تستوقف البصر ، وتحير الفكر ، بل هو كلما حزبته الاعداء ، وضايقته الأواء ، اربى في النماء ، كالشجر اذا شذب منه زاد ، او الأتي اذا شد طريقه غرق البلاد . وقد جزم العارفون وفي أولهم علماء الافرنج انه لا يمضي حرس من الدهر حتى يربو على جاريه المسيحي والوثني وعدد الأول الآن (٤٢٠) مليوناً والثاني (٥٠٠) مليون . وذلك لأن نسبة الزيادة فيه والزيادة فيهما مختلفة جداً حتى تكاد تكون كالفرق مابين الماشي والراكب الهملاج . كان سكان مصر سنة ١٨٨١ ستة ملايين فاصبحوا سنة ١٨٩١ نحو عشرة ملايين وكان مسلمو الهند سنة ١٨٩٢ (٥٧) مليوناً فصاروا سنة ١٩٠١ (٩٠) مليوناً وعلى هذا فقس مسلمي الصين والسودان وغيرهم . وهذا شيء لا يوجد مثله في الأمم الأخرى . قال ديمولان : يتضاعف عدد سكان فرنسا في ٣٣٤ عاماً وسكان المانيا

(١) المنار : يراجع القراء مقالة (الجنسية والدين الاسلامي) في المجلد الثاني من المنار (ص ٣٢١) ومنها يعلم أن الاسلام هو الذي جاء لجمع البشر كلهم فهم يسعون اليه ولا يعلمون

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في ٩٨ عاماً وانكلترا في ٦٣ عاماً واسترليا في ٦٢ عاماً

والاسباب في انتشار الاسلام وازدياده في كل صقع وقطر من أحشاء افريقية الى ميطان الصين الى جزر المحيط كثيرة نذكر بعضها فنقول

(السبب الاول) — سلامة العقيدة الاسلامية وسهولتها . قلت مرة لسيد جمال الدين الافغاني ماهو دين المستقبل؟ فقال لي هذه الآية من كتاب الله : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » . وقال لي كاتبري في مؤلفه عن الاسلام: « هكذا جذب الاسلام قسما عظيما من العالم بما أودع فيه من اعلاء شأن النفس بتصوُّر الذات الالهية على صفات فوق صفات البشر تذكّرها خمس صلوات في كل يوم وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث اباح للناس شيئا مما يشتهون . واعظم عامل في انتشار الاسلام خصوصاً عند الأمم الزنجية (السود) بساطة مذهبه وسذاجة تعاليمه وهو سبب موجود في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم الطباع . دين لا اسرار فيه وكلمته (اي كلمة الشهادة) يمتاض عنها عند الاحتضار باشارة تدل عليها كرفع السبابة الى السماء اشارة الى وحدانية الله تعالى فكلما وجد الرجل الجاهلي امامه دينين متحدين في حقيقتين وحدانية الله وخلود الروح — وهما الاسلام ودين عيسى — تراه يختار الدين الذي لا يزيد شيئاً على تينك الحقيقتين ويعتنق الاسلام بلا محالة وهي قوة يفضل بها القرآن الديانة المسيحية في الانتشار وكانت معروفة عند أهل القرن السابع عشر لذلك نقرأ في كتاب القس (ماراشي) الذي سماه (الرد على القرآن) : « ولا يغيبن عن ذهن القارئ ان تلك الطائفة . . . لا تزال حافظة لكل ما في الدين المسيحي من الامور الظاهرة الوضوح القريبة التصديق مضافاً اليه ما يوافق نظام الكون وقانون النشأة الدنيوية فقد أبعد عنه الحاجي الانجيل التي نحاها في أول الامر غير صحيحة لا تدركها العقول كما انه جرّد تعاليمه من كل قاعدة يشدُّ بها الخناق على البشر مما جاء في ذلك الكتاب وبهذه الواسطة تمكن من رفع العقبتين اللتين يحسّ كل واحد منا بانهما الحاجز بينه وبين الدين الحق الصحيح وهما عقبة الروح وعقبة الجسم وهذا هو السبب في أن الوثنيين الذين يريدون ترك دينهم في أيامنا هذه يمتاضون عنه بالاسلام دون الديانة المسيحية » اهـ

وقال (اسحق طيلر) : « ليس أمر المسيحية واقفاً عند العجز عن إحداث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مواطئ جديدة لأقدامها فقط ولكن المقام الذي هي فيه قد تعجز عن حفظه أيضاً.

أن دين الاسلام قد انتشر آنفاً من مراكش الى جاوا ومن زنجبار الى الصين وهو الآن ينتشر في افريقية بسرعة لا يأتي عليها الوصف وانا نرى الاسلام أوفق ما يكون لتهذيب الأمم المتوحشة وترقيها. أما الديانة المسيحية فلا تنالها عقولهم وبذا تنفع الاسلام المدنيّة أكثر مما نفعتها المسيحية. اذا دخلت الديانة المحمدية في قبيلة زنجية محت عبادة الأوثان وأبطلت أكل لحوم البشر ووأد الأطفال وأنشأت فيهم النظافة وعزة النفس والوقار وكرم السجايا فيصير قرى الضيف بمنزلة الفريضة الشرعية ويندر السكر والقمار والمراقص الخزية وتعد العفة في الأناث من خلائق التقوى ويفشو التناصح بالاحسان والأخوة بالوجدان » (*)

(السبب الثاني لانتشار الاسلام) — موافقة أحكامه للفطرة الانسانية وابتنائها على الحكمة العقلية. قال (لوشاتليه) في كتابه المسمى (الاسلام في القرن التاسع عشر):

« إن نمو الاسلام في الهند أمر لا ينكر وسببه في الغالب حكم المساواة بين الناس الذي سنته الشريعة الاسلامية وذلك ان أهل الهند بحسب مذاهبهم القديمة ينقسمون الى طوائف لا ينبغي لطائفة منها أن ترقى الى الطائفة التي فوقها فمن ولد منهم في طائفة دنيا لا يجد له مخلصاً للارتقاء الى العلاء والخلوص من قيد الطائفة الا اعتناق الاسلام » وقال (لودوفيق دوقتناسون) في كتابه المسمى (النصارى والاسلام):

« لا يصل أهل الهند الى أن تكون لهم حكومة وطنية مستقلة الا اذا ذهب من بينهم التخالف في المذاهب والطوائف والاجناس ولا يكون ذلك الا اذا ساد فيهم الاسلام الذي يبيد جميع هذه الفروق ويقيم اركان المساواة والإخاء والحرية التي هي من قواعد الديانة الاسلامية »(١)

(السبب الثالث) — وهو أهم الأسباب حذق دعاة الاسلام وهم الصوفية. الصوفية جمعية في الأمة الاسلامية مرتبة النظام، منظمة الهندام، يبلغ عددها مائة مليون من النفوس فهي أكبر جمعية في الدنيا لا يضارعها البوكسر في الصين ولا الطوائف الدينية في

(*) تراجع مقالات اسحق طيلر وخطبه في المنار (١) إن من أحداث السياسة في مصر من يحاول إبطال هذه المزايا الاسلامية بفمه وقلمه لغواً بالوطنية ويزعم مع ذلك انه يخدم مصر والاسلام !!!

www.alukah.net اهداء من شبكة الألوكة

أوربا وغيرها وقد قامت هذه الجمعية بالدعوة الاسلامية مقاما عجيباً (١) ، وقال بعضهم : « ان العالم الاسلامي وقف عن التقدم والغالب أمام الدول الأوربية من مدة مديدة فاستطالت هذه الدول على الممالك الاسلامية وغلب الكثير منها بالقوة

(١) للصوفية (علم وعمل) أما العلم فهو العقائد والقواعد والاحكام المعروفة في كتب التصوف كالفتوحات والفصوص ونحوهما وأما العمل فهو ارشاد المسلمين ودعوة غير المسلمين الى الاسلام .

وانا نرى في هذه الايام من بعض متهوري الكتاب انكاراً وتثريباً على عقائد الصوفية وطلبا لتلاشي هذه الجمعية من بين المسلمين بسبب ذلك قال بعضهم : « ان هذا المذهب دخل الى الاسلام من القرن الثاني مع ما دخله من المذاهب اذ ذاك وانما نقل اليه من الفرس بدليل ان مشائخه الاولين كلهم أعاجم كالجنيد النهاوندي وأبو يزيد البسطامي وابراهيم ابن أدهم البلخي وبشر الحافي المروزي وسهل التستري الخ وبدليل انهم جعلوا سند الطريق الى علي رضي الله عنه دون غيره ولا يفعل ذلك الا الفرس الذين هم شيعته . وبدليل انه كان مدوناً في كتب الفرس واشعارها قبل الاسلام وقد نقله الفرس عن اليونان اذ كان عندهم مذهباً للحكماء الاشراقيين . وأخذه اليونان من الهنود الاقدمين اما بواسطة فتوح الاسكندر أو قبلها. قال ابو الريحان البيروني في كتاب الهند عند ذكر اعتقاد الهنود في الموجودات العقلية والحسية مانصه : (ان قدماء اليونانيين قبل ظهور الحكمة فيهم بالسبعة المسمين أساطين الحكمة وتهذب الفلسفة عندهم كانوا على مثل مقالة الهند وكان فيهم من يرى أن الاشياء كلها شيء واحد (وحدة الوجود) ثم من قائل في ذلك بالكمون ومن قائل بالقوة وان الانسان مثلا لم ينفصل عن الحجر والجماد الا بالقرب من العلة الاولى بالرتبة والا فهو هو ومنهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط لاستغنائها بذاتها فيه وحاجة غيرها اليها وان ماهو مفتقر في الوجود الى غيره فوجوده كالخيال غير حق والحق هو الواحد الأول فقط . وكانت هذه الآراء آراء (السوفية) أي الحكماء فان سوف باليونانية معناها الحكمة وبها سمي الفيلسوف أي محب الحكمة ولما ذهب في الاسلام قوم الى قريب من رأيهم سُمُّوا باسمهم ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم بالتوكل الى الصفة وأنهم أصحابها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصيره بعضهم من الصوف وعدل أبو الفتح البستي عن ذلك أحسن عدول في قوله:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العقلية والمادية ولكن الذي أعجزها وضاعت معه قوتها وحياتها هم الصوفية . فالصوفية هم في الحقيقة القوة الدالة على الحيوية والنماء في العالم الاسلامي فتراهم في افريقية

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا قدما وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى صافى فصوفي حتى لقب الصوفي

وكذلك ذهبوا الى أن الموجود شيء واحد وان العلة الأولى تتراءى فيه بصور مختلفة وتحل قوتها في أبهاضه بأحوال متباينة توجب التغاير مع الاتحاد (الحلول والاتحاد) وكان فيهم من يقول ان المتصرف بكليته الي العلة الأولى متشبهاً بها على غاية امكانه يتحد بها عند ترك الوسائط وخلف العلائق والعوائق (الرياضة والتجرد) .

وكانوا يرون في الأنفس والأرواح أنها قائمة بذواتها قبل التجسد بالابدان معدودة مجندة تتعارف وتتناكر وأنها تكتسب في الأجساد بالضرورة مايحصل لها بعد مفارقه الابدان الاقتدار على تصاريف العالم ولذلك سموها آلهة وبنوا الهياكل بأسمائها وقربوا القرابين لها كما يقول جالينوس في كتاب الحث على تعلم الصناعات (أصحاب الكرامات) اه كلام البيروني

قالوا والوصول الى المعرفة عند الصوفية ليس من طريق النظر والتجربة بل من طريق الرياضة وكل مايفعله الصوفية الآن من الاهتزاز الشديد في الذكر ونحوه هو لتخليص النفس من الحس حتى تتجلي لها المعرفة بقدر ذلك ولا شك ان هذه جميعها عقائد وقواعد يجب الغاؤها لأنه لم يجيء بها كتاب ولا سنة . اه

أقول هذا تهور وخطل وبعد عن الصواب اذ كيف يجوز لمسلم أن يطلب ايقاف الحركة التي يعترف الافرنج أنفسهم بأنها الحركة الحية الوحيدة الباقية الآن في الاسلام والتي فتحت للاسلام الآن قدر مافتحته سيوف الفاتحين الأولين أما الطريقة لاصلاح حال الصوفية ونفي الضار عنها وإبقاء النافع فيها فهي ان نجعل (العلم) عندهم هو علم الشرع الاسلامي بلا زيادة ولا نقص و (العمل) يبقى موضوعه على ما هو عليه فيكون عبارة عن ارشاد المسلمين الى الشريعة المطهرة ودعوة غير المسلم الى الاسلام

وبهذا يكون التصوف عبارة عن (علم بالشرع وعمل به) ويقوم مشايخ الصوفية اذن بركني التعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين حث عليهما الكتاب الكريم قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقال تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفى الصين والهند وأواسط آسيا بل في جزائر المحيط يدعون الى الاسلام ويدخلون الافواج فيه كل يوم حتى ان الخطوط التي ترسم في افريقية لبيان حدود الاسلام وراء خط الاستواء تنقل متقدمة الى الجنوب في كل عام من أثر فتوحات مشايخ الطرق فى مجاهل افريقية . وما دخل الفرنسيس قرية فى الكنغو الا وجدوا الصوفية قد سبقوهم اليها وزرعوا بغض الناس لهم فيها . ومن اطلع على المؤلفات الكثيرة الأوربية التي تؤلف في هذه السنين في اوربا عن أحوال الصوفية وتاريخ الطرق وكيفية سير أهلها في الدعوة علم ان مسألة الصوفية هي المسألة الشاغلة للباحثين عن حالة الاسلام الماضية والمستقبلة

وقد بلغ من العناية بهم ان والي الجزائر كلف جمعية برئاسة (اوكتاف دويون) عن البحث في احوال الصوفية ففعلت وطبعت اعمالها في مؤلف ضخم ورسمت خريطة عامة يتبين منها ما يوجد من الطرق والطوائف في كل بلد من بلاد الاسلام بعلامات مخصوصة حتى تستقصى منها حركاتها وتنقلاتها في الأقاليم اه

وقال دي كاسترى : « قدفطن المسلمون الى ما احدق بهم من الاخطار وارادوا تمكين الجامعة وتوحيد الروابط بينهم وهى عند المسلمين اشد قوة منها لدى غيرهم من الأمم التي تدين بدين واحد لأن القرآن شريعة دينية وقانون مدني وسياسي ومن ذلك وجدت حركة في النفوس غايتها مقاومة النصرانية بجميع الوسائل الممكنة وعلى الخصوص مغالبة التمدن الجديد باسم الايمان . قال القائد (رين) وتأتي قوة هذه الحركة الاسلامية من تعدد الطرق الصوفية التي وجدت من اول هذا القرن وعظم شأنها في جميع الأنحاء وصار لها تأثير شديد في قلوب الناس ولهم رسل ومريدون يطوفون البلاد الاسلامية التي لاحد لها وغير الاسلامية كمبشرين او مستعطين او قاصدين للحج ويصلون بهذه الكيفية بين الأقطار من مكة الى جغبوب الى القسطنطينية وبغداد الى فاس وتنبكتو الى القاهرة الى الخرطوم الى زنجبار ثم كلكتا وجاوه ومنهم التاجر والمنجم وطالب العلم والشحاذ والمجذوب وكلهم يلاقون صدوراً رحبة ومنزلة كريمة بين المؤمنين » اه

قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون). وتكون جمعية الصوفية فى الدنيا أشبه بمدرسة عظمى فيها المشايخ والخلفاء أساتذة والمريدون من الكافة تلامذة قد وضعوا أنفسهم تحت التعلم ومراقبة العمل به مدى العمر اه مؤلف الرسالة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال (كونتانسون): نرى حركات كثيرة واعمالا كبيرة يقوم بها المهديون او الامراء في العالم الاسلامي ثم تزول كأن لم تكن . اما العمل الثابت الدائم فيه فهو عمل الصوفية فالفضل لهم في انتشار الاسلام شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً. وقال (شاتليه) بعد ان اطال في وصف انتشار الاسلام في الدنيا وعزاه لمساعي مشائخ الطريق: « والخلاصة ان الاسلام مدين بكل فتوحاته السلمية وانتشاره في الاقطار لجماعة الصوفية . فمشائخ الطريق هم في الحقيقة الذين يديرون حركة الاسلام الحية . ولا يخفى ما في عملهم هذا من الخطر على المصالح الأوربية »

(السبب الرابع) تعدد الزوجات وهو الامر الذي به يتفوق المسلم الواحد أن ينسل خمسمائة نسمة وفي الحديث « تناكحوا تكاثروا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة » (١) وقال تعالى في حكاية دعاء ابراهيم واسماعيل : (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ)

قال دي كاستري أيضاً: « ومن الوسائل الناجحة في المسلمين لانتشار الاسلام الزواج فان سلاطين السودان يتزوجون من العائلات الوثنية لهذه الغاية ولا تمكث النساء وأولادهن حتى يصير الكل من أقوى الاسباب لانتشار الدين الاسلامي وقد أشار موسيو (رونان) الى ذلك في بعض كتبه حيث يقول (من الصعب ان يصم المرء أذنه اذا تقدمت اليه النساء والاطفال ومد كل يديه اليه وطلب منه ان اعتقد بمن نعتقد) على ان الزواج هو السبب في وجود انصار الاسلام الاولين »

(السبب الخامس) — بغض الامم الوثنية للمسيحيين وميلهم الى المسلمين بالفطرة قال (كونتانسون): ان مما اعلى كعب الاسلامية على النصرانية في الصين عناية ملوك الصين بالمسلمين من قديم فهم يمنحونهم على الدوام من المراتب والألقاب والمنح مايمنعونه النصارى. وقال بعض الكتاب : « قد ملأ الأوربيون بلاد الصين بجماهير المرسلين من كل ملة ونحلة وسهلوا لهم سبل التملك ووعدوهم بالمساعدة فأدخل هؤلاء المرسلون بعضاً من أهل الصين في دينهم بعد ما وعدوهم بالحماية الاجنبية من كل سلطة للقانون فجرأهم ذلك على ارتكاب ما تحرمه القوانين والاعتداء على أهل البلاد فنجم عن هذا معظم الاسباب التي أوجبت كره أهل الصين للمسيحيين كرها يشبه التعصب

(١) المنار : رواه عبدالرازق في مصنفه من حديث سعيد بن أبي هلال مرسلا بسند ضعيف. ولكن ورد بمعناه في مكاثرة النبي الأمم والأنبياء بأمته مايقويه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبالجملة إن الأوربيين القائلين بالمساواة يعاملون اللون الابيض من بني الانسان معاملة الاخ لأخيه واللون الاصفر معاملة الرجل لخادمه واللون الاسمر معاملة السيد لعبده ويطلقون الرصاصة على ذي اللون الاسود كما يطلقونها على الوحش الضاري فالانسان كلما مال لونه الى السواد كان نصيبه من هؤلاء الخذلان وفاحش الامتهان. ولهذا كان كره الأمم الشرقية لهم متكاثراً وحقدهم عليهم عظيما.

وقال (فيلكس مارتان) في كتابه عن اليابان مانصه: «وقد استأصل أهل اليابان جميع النصارى فلم يبقوا مبشراً الا شردوه ولا قسيسا الا قتلوه وكان قد تنصر من أهل اليابان ٣٧ الف نفس فاعدموهم قاطبة». وقال أيضاً: «ان الصبغة التي تغطي كل مشكلة أو ثورة في اليابان الآن لتجعلها مقبولة من الناس هي الحركة ضد الافرنج».

وقال أيضاً: «كل من زار اليابان من الاوربيين يعلمون بان الحالة اليوم كما كانت في الازمنة السابقة وان الافرنج في اليابان كأنهم في دار حرب أو بلد عدو وانه لو كشف الغطاء عن اليابان الحالي وزخرفه لوجد انه ذلك (الساموري) القديم الذي يغلي دمه بعداوة الافرنج عداوة وراثية فيهم لافرق فيها بين الكبير والصغير والامير والحقير».

وقال هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقاً في مقالته عن الاسلام: «وقد انبعثت شعبة منه في بلاد الصين فانتشر فيها انتشاراً هائلا حتى ذهب البعض الى القول بأن العشرين مليوناً من المسلمين الموجودين في الصين لا يلبثون أن يصيروا مائة مليون(١) فيقوم الدعاء لله مقام الدعاء (لساكياموني) وليس هذا بالأمر الغريب فانه لا يوجد مكان على سطح المعمورة الا واجتاز الاسلام فيه حدوده منتشراً في الآفاق. فهو الدين الوحيد الذي أمكن اعتناق الناس له زمراً وأفواجاً وهو الدين الوحيد الذي تفوق شدة الميل الى التدين به كل ميل الى اعتناق دين سواه. ففي البقاع الافريقية ترى المرابطين وقد أفرغوا على أبدانهم الحلل البيضاء يحملون الى الوثنيين من العبيد العارية أجسامهم من كل شعار قواعد الحياة ومبادئ السلوك في هذه الدنيا كما ان أمثالهم في القارة الاسيوية ينشرون بين الشعوب الصفر الألوان قواعد الدين الاسلامي ثم هو — أي هذا الدين — قائم الدعائم ثابت الاركان في اوربا عينها — أعني في الاستانة — حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصال جرثومته من هذا الركن المنيع الذي يحكم على البحار الشرقية ويفصل الدول الغربية عن بعضها شطرين».

---

(١) المنار: جاء القاهرة في هذه الأيام تاجر بلوجي مسلم ذهب الى الصين مراراً فأكد القول بان مسلمي الصين يبلغون ٨٠ مليوناً، وان علماءهم يزعمون بقول الاوربيين أنهم ٤٠ مليوناً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال آخر : ان للاسلام في الصين أربعين مليوناً من النفوس وان المسلمين عند أهل الصين منزلة علية . قال موسيو (وازيليف) وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام في تلك النواحي: ان مصيره القيام مقام مذهب (ساكيا.وني) (١) وان لمسلمي المملكة السماوية اعتقاداً جازماً بأن الاسلام لابد أن يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة وهي مسألة من أهم المسائل اذ الصين آهلة بثلث العالم او تزيد فلو صاروا كلهم مسلمين لأوجب ذلك تغييراً عظيماً في حالة تلك البلاد باجمعها فيمتد شرع محمد من جبل طارق الى المحيط الأكبر الهادي ويخشى على الدين المسيحي مرة أخرى ومعلوم ان أمة الصين أمة عاملة وان هدأت أخلاقها وجميع الأمم تستفيد الآن من عملها فلو جاءها التعصب الاسلامي ذو البأس القوي لخشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطانها (٢) وقال موسيو (مونطيط) لقد صار من المحقق ان الاسلام ظافر لا محالة على غيره من الأديان التي تتنازع البلاد الصينية »

وقال شاتليه (ان من تأمل حال الاسلام في القطرين اللذين هما آهل أقطار آسيا بل أقطار العالم — الهند والصين — يجد أن الاسلام وحده يتقدم وينمو على حين يرى غيره من الديانات القديمة تتداعى وتضعف والمسيحية لاتكاد تثبت)

وقال آخر بعد ان وصف فتوح الاسلام في الديانات الأخرى وعجز الآخرين عن الفتوح فيه :(ولم ير المبشرون في طريقهم بلداً قامت في وجههم سدوده وأقفلت دونهم أبوابه مثل بلاد الاسلام ومن الصعب أن يكيف الانسان حالة مسلم يريد أحد المسيحيين أن ينصره حتى لو شبهناه بمسيحي مستنير يريد وثني أن يميل به الى عبادة الاصنام لكان التشبيه ناقصاً)

وقد ملأت هذه الفتوحات الاسلامية قلوب الامم الأخرى وبلبلت بلبالهم حتى عدوها من الخوارق وبنوا أسبابها على ماوراء الطبيعة

---

(١) هو احد ملوك الصين تخلى عن الناس فى التاسعة والعشرين من عمره وعكف على العلوم حتى برع فيها وسمى نفسه (بودا) ومعناه العالم او المتنور ووضع المذهب الذى اتخذته الصين والهند ديناً وكان ظهوره فى القرن الحادى عشر قبل المسيح وقيل فى القرن السابع وهو الأرجح (٢) راجع كتاب موسيو دابرى المسمى الديانة المحمدية فى الصين وتركستان الشرقية المطبوع فى باريس سنة ١٨٧٨ اه من هامش كتاب الاسلام لدي كاستري

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال دي كاسـتري : « هذه هي أهمّ الاسباب في انتشار الاسـلام ولست أدري ان كانت تكفي لإدراك سر هذا الدين في انتشاره أو انه يجب البحث معها عن أسباب سماوية غـير ان الاسـلام خرج من ذرية اسماعيـل وسرى في الارض كما خرجت المسيحية من ذرية اسحق وقد بارك الله في أبناء الخادمة كما بارك في أبناء السيدة

«ونحن نسلم ان يهوذا قال لابراهيم عن اسماعيل انه سيبارك فيه ويكثر من نسله كثيراً وكرّر له ذلك بقوله انه سيبارك له في ابن الخادمة فتخرج من صلبه أمة كبرى لكونه من أولادك وأعاد يهوذا هذه البشرى مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذي تجافي الصحراء حيث رمي ليموت عطشاً وقصة ظهور الملك الى هاجر من أجمل الروايات ووصف بادية الظماء وهلف الام على ولدها من ألطف مايقال (نضب الماء في الزق ورمت هاجر الطفل تحت شجرة وابتعدت قليلاً ثم جلست أمامه على مسافة مرمى النبل وقالت لسـت أصبر ان أرى ابني يموت ثم رفعت صوتها بالبكاء وقد كان بكاء الطفل سـبقها الى السماء فناجاها الملك من قبل الله : مالك ياهاجر لاتخافي فقد سمع الرب صوت الطفل من المكان الذي وضعتيه فيه فقومي وساعديه على القيام وليشـتد ساعدك على حمله فسيكون من ذريته أمة كبرى)

« ولقد ارتعشت يدي عندما مددتها لأزيل الغطاء عن الكتاب المقدس كي أنقل الآيات التي سطّرتها ولولا ماقاله الاب بروغلي من أن تقدم الاسلام أمر مندرج تحت مابشر به أبو المؤمنين لما تجرأت ان أطبق تلك الآيات على الاسلام ولا ذهبت الى أن في انتشار هذا الدين سراً من الاسرار الربانية » اهـ

هذا ما أردنا بيانه في هذا الفصل ومنه يعلم أن حظ الاسلام من الارض أوفر حظ وان ارضه له لايمكن أن ينتزعها منه غيره وان عدد المسلمين كثير وان صفاتهم الفطرية قويمة، وجامعتهم الدينية عظيمة، وانهم يزيدون زيادة تستوقف الابصار ، وتحير الافكار، وانه لايتسنّى لغيرهم أن يجاريهم في هذا المضمار ، واذا كان الامر كذلك كان رأس مال الاسلام من الاصلين الطبيعيين الضروريين لمستقبل الامم كبيرا في الحال، أكبر من غيره في الاستقبال، ولاينقصه الا الامور الكسبية والاسباب الوضعية التي لابد أن تدفعه طبيعة العمران لتحصيلها شاء أو أبى، فيصل الى ما قدره له الله من السـعادة والعلاء والمجادة ولله در القائل:

لي في ضمير الدهر سر كامن لابد أن تستلّه الاقدار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في أسباب الانحطاط)

« الجهل »

اختلف العلماء وافترق العقلاء في أسباب انحطاط الأمم وارتقائها وانقسموا في ذلك الى فريقين وهما

(الفريق الاول) — يرى هذا الفريق ان الامم في ارتفاعها وانخفاضها أشبه بالانسان في أدوار عمره لا تكبره الإرادة ولا تضره الصنعة فهو اذا جاء زمن المشي مشى وحده واذا جاء زمن النطق نطق كذلك. وان الجمعيات الإنسانية مسيرة بناموس طبيعي كالناموس الذي يسير الكواكب في أفلاكها . وان الجمعية الحالية هي نتيجة ضرورية لماض طويل الأمد ، وأنها حاملة معها جميع بذور التحولات والأطوار التي لابد لها من المرور عليها في رقيها وانحطاطها . وانه بذلك تكون الجمعية كالشخص لايبلغ سنًّا مالم يمر بالادوار التي تفصله عنه وان تأثير الانسان في هذا السير هو كتأثير الطبيب في سير المرض أي ضعيف لايذكر .

[الفريق الثاني] — يرى هذا الفريق ان الأمم مثل الشعلة المذابة تضعها في أي شكل أردت ، وتجعلها في أية صورة صورت ، وأن الإرادة تفعل في كيانها فعل الاكسير الذي يحول الترب تبراً . ورجال هذا الفريق هم أساطين الحكمة مثل (أفلاطون) و (أرسطو) و (ليبنيز) و(ليكورغ) . ولا حاجة في اطالة الكلام لترجيح الفريق الثاني في هذا المقام فان البرهان الذي لايختلف فيه اثنان.

***

ثبت عند كبار الحكماء أن الأمم يمكن رفعها وخفضها بالإرادة . أما الآلة الرافعة أو الخافضة لها فقد اتفقوا على انها العلم أو الجهل. قال ليبنيز الحكيم : « لو كان أمر التعليم موكولا اليّ لغيرت وجه أوربا في أقل من قرن » وقال أيضاً : لو أجلنا النظر لألفينا ان تسعين في المائة من الناس هم فضلاء أو أرذلون نافعون أو مضرون بالتعليم الذي تعلموه وان كل مايوجد من فرق بينهم فسببه ذلك التعليم. وقال (ديدرو) علة العلل في ارتقاء أو انحطاط الأمم هو العلم أو الجهل وما عدا ذلك فاسباب ثانوية وعلل جزئية ترجع الى تلك العلة الاصلية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا وقد يدلنا النظر في حالة العمران ان العلم هو الملة التي تقوى بها أمة على أمة والجهل هو سبب انحطاط فريق عن فريق وبيانه أن هذه الأرض وان تنوعت أسماء أجزائها في المواضعة واختلفت الوان بقاعها في الحز أنضفهي بسيط واحد فيه العامر والغامر والأمم فيه كأمة واحدة فيها القوي والضعيف . وقد أوجدت المصادفة بعض هؤلاء في حيز عامر مفعم بالنعم والبعض في حيز غامر مملوء بالنقم وجبل الإنسان على حب الأثرة لنفسه ولو هلك في ذلك أهل الأرض جميعاً . قال سهل بن هارون البخيل : « ليس لي من مالي الا ما منعته الناس ولو أمكنهم لقصدوا بقي حجرا حجرا » فوقع بين القوم بسبب ذلك مايسمى بتنازع الحياة وهو في الواقع قتال بالاسنة . حيث كل يطلب الطيبات لنفسه ويحرص على نزع ذلك من الآخر بقوة بأسه . ومعمعة يعيش فيها الخليد ويهلك الرعديد . ويحيى القوي ويموت الضعيف . فلهذا احتاج كل واحد أن يكون أقوى من قرنه فتراجعوا في الازمنة الأولى الى القوة الجسمية حتى اذا سما العقل واستنبط من الأساليب ما طلس به قوة الخيل . فزعموا الى القوة العلمية ولهذا قال بعض السياسيين : « الجاهل الآن كالأعزل في القرون الوسطى » . فمن كان اكثر علماً كان اكثر قوة فكان له الغلب والنفاح على خصمه وقد يكون هذا التنازع جهرياً وهو معروف في تغلب الأمم بعضها على البعض بقوة الآلات المستنبطة والعدد المبتدعة وقد يكون خفياً وهو التنظر في سائر وسائل الحياة . فالأمم في الحقيقة جيوش متلاحمة ، ومقاتلة متحاملة . كما قال المتنبي :

إنما أنفس الأنيس سباع يتفارسن جهرة واغتيالا

فالجنود تقاتل الجنود والتجار التجار والصناع الصناع والزراع الزراع وهكذا . وكما ان الجندي اذا غلب الجندي وكان سلاح أحدهما المكسر وسلاح الآخر الرمح غلب الاول لا محالة فكذلك الحال في سائر الأنواع الأخرى . وبقدر ما يكون في جميع طبقات الأمة من سعة العلم يكون غلب مجموعها على غيرها ولا يمكن أن يحط فرد واحد منها الا أثر ذلك في كونها كما اذا وقفت بعوضة على طرف سفينة عظيمة أثقلتها وأمالتها حقيقة وان لم تدرك ذلك مشاعرنا .

ومن هذا يعلم ان جميع أحوال الأمة متوقفة على حالة أشخاصها من الجهل والعلم فان صلحت الأشخاص صلحت الأحوال والعكس بالعكس . وبهذا جاء القرآن الكريم قال تعالى : « إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ »

www.alukah.net إحدى شبكة الألوكة

وقال تعالى : « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ » وقال تعالى : « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » وقال جلّ شأنه : « ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » وقال صلى الله عليه وسلم : « كما تكونوا يُوَلَّى عَلَيْكُمْ »(١) وفي معناه قول الحكيم (الأمة تعطى الحكومة التي تستحقها) وقال فولتير : « الظلم الواقع على الأمة عقاب لها على جهلها » .

ويعلم مما تقدم أيضاً ان الذين يعددون الأسباب الكثيرة في انحطاط الأمم او ارتفاعها إنما يذكرون أسباباً ثانوية لعلة أولى هي علة العلل وهي الجهل أو العلم . فمن جعل السبب محصوراً في الحكومة مثلا فانا له ان الحكومة لا تكون الا على نسبة استعداد الأمة وما شذّ عن ذلك لا حكم له بل لا فائدة فيه فقد رأينا ان المصادفة قد توجد حكومة فوق قدر الأمة فلا تلبث ان تتبدل بموت القائم بها أو نحو ما لم يجرى تفسد كل ما أتت به الحكومة الأولى . وهكذا من جعل السبب في فشوّ العقائد الفاسدة في الأمة أو المبادئ التي تزعم انها من الدين وليست منه نقول له ان السبب هو الجهل بالدين وهلمجرّا

***

ثم ان العلم له ميزان في الوجود وهما الأنبياء والحكماء أي الدين والحكمة فنأخذه من الدين أولا ثم ان أردنا التفصيل في الفروع أخذنا من الحكمة . قال ابن مسكويه : « ان تحصيل السعادة على الاطلاق يكون بالحكمة . وللحكمة جزآن نظري وعملي فبالنظري يمكن تحصيل الاراء الصحيحة وبالعملي يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الافعال الجميلة وبهذين الامرين بعث الله الانبياء صلوات الله عليهم ليحملوا الناس عليها وهم أطباء النفوس يعالجونها من أسقام الجهالة بالادب الحق لما يأخذونهم به من الاداب الصحيحة والاعمال النافعة ويطالبونهم بالاستسلام لهم بعد اقامة الحجة عليهم بالمعجزات فمن تبعهم ولزم محجّتهم وقف على الصراط المستقيم . ومن خالفهم تردّى في سواء الجحيم . فأما من أحب أن يعلم صحة ما دعوا اليه بالنظر الصحيح فانه يجد ذلك من جهة الحكماء » ولا يقول قائل انه يوجد تباين بين الدين والعلم يتنافيان به فان ذلك غير صحيح وانما جاء لهم من أنهم حملوا من الدين ما ليس منه أو اخطأوا مقاصده ومعناه . قال شيخ الفلاسفة في هذا الزمان هربرت سبنسر في كتابه (التربية والتعليم) ما نصه :

(١) المنار : رواه الديلمي عن أبي بكرة والبيهقي عن أبي اسحق السبيعي مرسلا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

« العلم عدو الاوهام المتداولة بين الناس باسم الدين ولكنه ليس بعدو للدين الحق الذى كثيراً ما تحاول هذه الاوهام ستره عن الابصار . نعم أنه يوجد شيء من العلم المتداول يظهر عليه منا قضة الدين ومعاداته. ولكن هذا أيضاً من قبيل العلم الذى أكثره وهم اذ العلم الحقيقي الذى يغوص وراء حقائق الاشياء لا يناقض الدين كما قدمنا »

وقال (باقون) امام الفلسفة الحديثة : « القليل من العلم يبعد من الله والكثير منه يقرب منه » وقال (هكسلي) الحكيم الكبير : « الدين والعلم كتوأمين متلاصقين فصلهما يؤدي الى موتهما . فان العلم يموت متى كان دينياً والدين يثبت متى كان علمياً . وأهم آثار الفلاسفة انتجتها أفكارهم بسائق ديني في الحقيقة »

ولو تتبعنا جميع رؤساء الحكماء وأساطين الفلسفة العقلاء من سقراط وأرسطو وافلاطون الى كانت وديكارت وليبنز وأمثالهم لوجدناهم من أهل الدين وان لم يتسموا بهذا لانهم يعتقدون بما جاء به الدين ويخلقون بالحكمة التي أمر بها أن تكون » قال (كارليل) الفيلسوف في كتابه (الهيرو) : « قال (جوتي) اكبر شعراء الجرمان وقد وصف له الاسلام : ان كان هذا هو الاسلام افلا نكون جميعا عائشين فيه ؟ (ثم قال كارليل) نعم ان كل واحد منا عنده حظ من الفضيلة والكمال في الحياة عائش فيه » اه

ولا فرق مثلا بين قول سقراط : « يجب ان تعرفوا ان إلهكم واحد » وقول المسيح في الانجيل : « وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوا انك أنت وحدك الاله الحق » وقول الله سبحانه وتعالى « قل هو الله أحد »

وكل ما أدخل على الدين من تحريف الاصول الحقيقية والقواعد العامة التي فيه فانما جاء من فساد عرض أو عرام طرأ وهو منه براء . وهذه الاصول العامة التي هي عمد السعادة كما لا يختلف فيها الدين عن الحكمة لا يتباين فيها دين ودين بل الاديان فيها سواء . قال الله تعالى : « قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » وقال تعالى : « مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ »

***

اذا توضح ذلك وانه لا خلاف بين العلم والدين فلنبين هنا ماهية كل منهما

ليس العلم هو هذه الابواب المحفوظة فقط التي يتسمى محصلوها بالعلماء عند المسلمين

الآن بل هو أوسع من ذلك رحاباً وأفسح مجالا . هو معرفة حقائق الوجود جميعاً. وينقسم الى حكمة نظرية وحكمة عملية . وتنقسم الحكمة النظرية الى ثلاثة أقسام وهي (قسم العلم الإلهي) وهو مالا يفتقر في الوجود الخارجي والتعقل الى المادة و(القسم الرياضي) وهو علم بأحوال ما يفتقر اليها في الوجود الخارجي دون التعقل و(القسم الطبيعي) وهو علم ما يفتقر اليها في الوجود الخارجي والتعقل . وتنقسم الحكمة العملية الى ثلاثة أقسام أيضاً (قسم الاخلاق) وهو علم بمصالح الشخص و (قسم تدبير المنزل) وهو علم بمصالح العائلة و (قسم السياسة) وهو علم بمصالح الامة ويدخل تحت كل قسم من هذه الاقسام جملة علوم كالرياضي يدخل تحته علم الحساب والهندسة والجبر والهيئة وكالطبيعي يدخل تحته الكيمياء والطب والنبات والحيوان والجغرافية والفلاحة الى غير ذلك بل كل واحد من هذه العلوم يدخل تحته علوم أخرى كالطب يدخل تحته التشريح والجراحة والكحالة وهكذا الى ما شاء الله . ولو أحصيت العلوم التي تقوم بها أعمال المجتمع الانساني الآن لربت على ألف علم

وكل علم من هذه العلوم له وظيفة لا يقوم بها غيره فمثلها في جسم الاجتماع كمثل الاعضاء في الجسم لا تغنى فيه العين عن الاذن ولا اليد عن القدم وهكذا . فالعلم الآلهي أو الفلسفة الاولى هو أس العلوم في الحقيقة . سأل (رينان) السيد جمال الدين عن سبب عقم المدارس في الشرق سواء فيها القديمة والحديثة فقال له السيد ان سببه فقد الفلسفة الاولى منها اذ هي للعلوم كالسلك للعقد او القاعدة للمسائل فإن فقد السلك تبدد العقد أو عدمت القاعدة تناثرت المسائل

وأما العلم الطبيعي والرياضي فهما باب الارتزاق وسلم المدنية وعنهما [illegible] نراه في الأمم المرتقية الآن من الحركة والعمران

وأما علم الاخلاق فهو طب النفس . ومن العجيب اننا نرى الانسان اذا اصيب دُمل في جسمه اسرع الى العلاج والطبيب وفي نفسه عشرون دملا لا يلتفت اليها وان انهكته في الحقيقة آلامها ولا سبب لهذا الا فقدان هذا الطب من بين المسلمين الآن مع نموه عند غيرهم من الامم وحسبك انه الف في مرض الارادة وحده عندهم كتب ذات أسفار .

ويجب ان يكون هذا العلم ملكة في النفس كملكة النحو في اللسان حتى تنطبق أحوال المرء على قواعده بلا تكلف فتصير الفضائل — كالوقوف عند الاعتدال في الاعمال والحق في الاقوال والاعتماد على النفس ونحو ذلك جميعه — خلقا له وسجية طبيعية

واما تدبير المنزل فهو من أهم الأمور الضرورية لسعادة الأمة وذلك ان المنزل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هو المدرسة الاولى وبعده مدرسة التعليم ثم مدرسة الدنيا فان كان عمل الاولى مضاداً للثانية ضاعت النفس بينهما ضياع لب المأمور لآمرين مختلفين

وأما علم السياسة فهو طب الاجتماع الانساني وطالما أدّى الجهل به الى شقاء البشر قال لوبون: إنك لا ترى أحداً لم يقرأ الفلك أو الجبر ثم يحاول حل مسائل فلكية أو معضلات جبرية ولا ترى أحداً كذلك لم يتعلم التشريح ثم يحاول ان يخيط عرقاً مقطوعاً مثلا ولكن ترى كل يوم رجالا لا يفقهون شيئاً من علم السياسة يسوسون الامم ويضعون القوانين ويسنون النواميس غافلين عن الاخطار والازمات التي تنجم من عملهم هذا مع ان خطأ الجاهل بالطب يودي بشخص واحد وهذا الخطأ يودي بأمة . وعلى هذا النحو فقس سائر العلوم والفنون

أما الدين فليس هو ايضاً ما يفهم الناس من أنه مجموع حركات بدنية فقط او لفيف أحاجي لا يصل اليها العقل بل هو العلم باقسامه الا انه أبعد غاية . ومقصده هو عين المقصد الذي وجد لاجله العلم اي ارشاد الخلق الى الحق ثم هدايتهم بقواعده الى كل ما فيه السعادة لهم الا ان الدين يمتاز على العلم بانه يجمع السعادتين سعادة الدنيا والآخرة وان العلم يرغّب في الفضيلة فقط وهو يقهر عليها قهراً ويرتب على ذلك ثواباً وعقاباً

ولتقريب فهم المقصود من الدين والانتفاع بما جاء به نفرض على وجه التمثيل أن الكتاب السماوي الكريم هو كتاب علم وحكمة ونقسمه في ذهننا الى الاقسام السابق ذكرها في تقسيم العلم . فنجد تحته قسم الإلهيات مفعما بما لا يصل البشر الى الاتيان بمثله ولا الوصول الى مثل تعبيره وتمثيله . قال سبنسر الحكيم في كتاب المبادئ الاولى : « لنعرف للدين الفضيلة الكبرى بأنه أول دليل على الله وانه لم يفتأ يعلن ذلك في كل زمان ومكان » . ثم اننا نجد الدين وان لم يتعرض لقسم الرياضيات والطبيعيات فقد حث عليها في جملة مباحث فيه من النظر في الاكوان وكذلك وضع العبادات التي تحيي التوحيد في النفوس . أما الاخلاق وتدبير المنزل والسياسة المدنية وما يتبع ذلك من الاحكام فقد بلغ فيها غاية ليس وراءها مطلع لناظر وكانت عمومياته هي الاصل الذي فرع عليه الحكماء جميع ما أتوا به في هذه الابواب . وأما ما يقوله السفهاء من عدم موافقة بعض احكام الدين لسير العمران فهو خطأ ووهم انى لهم قد قهروا الى لرجوع الى كثير منها بعد أن انكروها قرونا عديدة

***

واذ قد تبين أن الجهل هو سبب الانحطاط وان العلم هو سبب الارتفاع على الاطلاق فيهما فلم يبق خلاف في ان سبب انحطاط الأمم الاسلامية هو الجهل . ولو نظرنا نظرة واحدة في أحوال المسلمين لتبيّن لنا مقدار ذلك الجهل وآثاره السيئة فيهم

قلنا ان بابي العلم هما الدين والحكمة . أما الدين فلو حكمناه في نفوس أكثر المسلمين الآن وطبقناه على عقائدهم وأخلاقهم وأحكامهم لوجدنا لدى اكثرهم في محل كل عقيدة قرآنية أو خلق ديني عقيدة أخرى أو خلقاً آخر يكاد يضاد الاول على خط مستقيم . واذا كان الاول آلة للاعلاء كان الثاني علة الانحطاط . ليس الغاية من الدين مجرد الانتساب اليه فان ذلك لا يهدي الى خير ولا يدفع عن شر وانما العمل والانتفاع بكل ماجاء فيه هو الذي يرقي صاحبه الى ذرى الكمال وذلك كالطب فإنه لا يكفي أن يعتقد الانسان انه نافع فيبرأ من مرضه وأوصابه وانما يحصل على ذلك باستعماله والائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه . ولذلك حرصت جميع الاديان على تبيان هذه الحقيقة للناس قال تعالى « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » وجاء في الإنجيل « وانه ليس الذين يقولون للمسيح ياسيدي ياسيدي يدخلون ملكوت الله بل الذين يعملون ارادة الله » ومهما قلبت بصرك لا تجد الدين في الغالب مستعملا فيما وضع له . فهو عند الخاصة موضوع مناقشات لفظية وصناعة فصاحة كلامية ومجال براعة في اختراع وجوه وتأويل مناحي وبعد عن مقاصد . وعند العامة دفتر تعاويذ ورقى وكتاب ترتيل وكلام يقال لكي لا يفهم حتى قال بعض الادباء : فات هؤلاء ان يفهموه الاحياء فهم يسمعونه الموتى في القبور « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا »

وأما العلم فحالهم فيه كحالهم في الدين . فهم كل يوم يبعدون عنه ويقربون من نقيضه ولهذا تجد الكتاب عندهم كلما كان أقدم كان انفس وأجود بخلاف الأمم الحية فانه لا يقرأ الكتاب فيها اذا مضى عليه عشرون عاما

منذ كسرت أقلام المسلمين الاولين نرى العلم واقفاً بيننا لا يتحرك . أين الجماعات المشتغلة بالعلوم الالهية ؟ أين منشئو المذاهب والآراء ؟ أين المحامون عن العقائد ؟ أين المؤلفون في الرياضيات ؟ أين المخترعون لعلوم لم تكن كالجبر والكيمياء ؟ أين من نقل فلسفة أوربا كما نقل أولئك فلسفة اليونان ؟ أين من شرح كتب كانت وديكارت مثلما شرح ابن رشد كتب ارسطو وابن كمونه كتب افلاطون ؟ أين من جمع علوم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاوائل في سفر شامل كما فعل الفارابي في كتاب التعليم الثاني ؟ أين من ألف فوق مائة مؤلف في الطب كابن سينا والرازي ؟ أين من سافر لجمع غريب النبات وتدوينه كما سافر ابن البيطار الى بلاد الاغارقة ؟ أين من جرب في الجراثة ودوّن كابي زكريا الاشبيلي الذى رقّت تجاربه زراعة الاندلس . أين من ساح آسيا وأفريقية والجزر واكتشف البقاع ووصف المواطن كالحسن بن محمد القرطبي المعروف بالاسد الافريقي واليروني والشريف الادريسي . أين أنواع العلوم الكثيرة التي يتداولها المسلمون ويؤلفون فيها والتي حصرها صاحب كشف الظنون في زهاء مائتي علم ؟ أين من دوّن حوادث زمانه يوماً يوما وأخبار قومه خبرا خبراً باختلاف الروايات وتنوع الاسانيد . أين من وقف على حدود العلوم وزاد فيها على ما كان عند الامم . أين من طلب العلم للعلم وأراد به أن يعرف حقيقة يجهلها ولذة عقلية يحصلها . أكثر ما عند المسلمين الآن اختلاف في اعراب البسملة وبيان وجوه الصفة المشبهة وأمثالها وشئ من الفقه يعلمونه ولا يعملون به وما عدا ذلك فقشور من العلم في المدارس الحديثة المقصود منها صنع موظفين للحكومات أو اجراء لبعض المهن كالطب والحقوق ونحوها

هذه مصر وهي في مقدمة بلدان الاسلام عمرانا وحضارة ورفاهية وثارة تسعون في المائة من أهلها اميون ولا يوجد الا واحدة في المائتين من نسائها تقرأ الخط . فكيف حال المغرب والتركمان والعجم والسودان ؟ حيثما سرت واين اتجهت وقعت عينك على اناسيّ لو جردتهم في الخيال من ألقابهم وأموالهم وحليهم لم يبق في يدك شئ . قال المعري :

لو يعرف الانسان مقداره ... لم يفخر المولى على عبده
لولا سجاياه وأخلاقه ... لكان كالمعدوم في وجده

الناس أجمع في حركة وعمل والمسلمون في سكون وسكوت كما قال تعالى . وحين تضعون نيابكم من الظهيرة ، ولله در أبو تمام حيث يقول :

أفكر في احلامكم اين عُرّبت ... فيصرعني طورا وأصرعه الفكر
اذا الوحي فيكم لم يضركم فانني ... زعيم لكم ان لا يضوركم الشعر

الفصل الثالث في وسائل الارتفاع

(العلم)

اذا كان الجهل سبب الانحطاط كان العلم سبب الارتفاع . فلا تصلح أحوال المسلمين حتى تصلح نفوسهم توقف المعلول على العلة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكن ربما رأى الانسان الفساد الحال بالمسلمين في أنفسهم في أهلهم في أعمالهم في دينهم في دنياهم وقد سكن في كل عضو منهم علة ، وفي كل جارحة ألم ، وأزمنت الادواء واستطرقت الى بعضها حتى أصبحت كل علة تسوق عللا وكل مرض يهيج أمراضاً وغدا بينها شبه الدور والتسلسل فيئيه في هذا التيه ولا يدري كيف يسري وماذا يصلح وماذا يترك وأيّ دواء يستعمل وقد اختلفت الأمراض وتبايفت الآلام فيقف حائراً بائراً يائساً يرى ان خلق خلقٍ جديد أهون من اصلاح هذا. فلمثل هذا الحائر المشتبه أضرب المثل الذى ضربه (فكتور هوجو) الشاعر الكبير قال : مثل سلطان الاستبداد مثل مصر بني على بطائح (النيفا) في الروسيا وقد جمد الثلج ماءها فشيدت القرى والمنازل على الجليد وسارت العجلات ودارت حركة المعاش في الأسواق كأكثر ما يكون وضرب الرجل برجله الأرض فوجد أصلب من الصخر لا تعمل فيه المعاول ولا يقطعه الديناميت فقيل له ان هذا كله ظل زائل لا يلبث الا عشية أو ضحاها حتى يمحى فلا يكون له أثر فكذب وأنكر وهاله الأمر وبينما هو كذلك واذا بشعاعة من الشمس سالت على هذه الدنيا الصغيرة فاذا هي حلم حالم . قال (هوجو) هذه الشعاعة هي (الحرية) وأقول انا هي (العلم) وقد بينا آنفاً ماهيّة هذا العلم الذى ترقى به الأمة اذا أخذ كل منها بنصيبه منه . فنذكر الآن الوسائل اللازمة لإدخاله في أرض المسلمين . وهي تنحصر في (كيفية نقله) و(كيفية تعليمه) و (المال اللازم لذلك) و (من يقوم بهذا العمل)

أما نقل العلم وايجاده بين المسلمين فله طريقان وهما ترجمته الى لغات المسلمين أو تعليم المسلمين لغة من لغات العلم (وهى الآن الفرنسية والانكليزية والألمانية) لتكون هي لغتهم العلمية ومن يقول بالوجه الأول يذكر انه هو السبيل الذى سلكته كل الأمم السالفة في نقل العلم اليها كما فعل العرب في نقل علوم اليونان والسريان والكلدان وكما فعل الفرنج في نقل علوم العرب حتى انك لتجد الآن كثيراً من مؤلفاتهم المهمة مترجمة الى اللاتينية مطبوعة بها من قرون عدة مع فقدها من بلاد الإسلام ويقول هؤلاء : اننا اذا ترجمنا العلم فقد نقلناه الينا وان تعلمنا اللغات فقط فقد نقلنا أفراداً منا الى العلم . وأما من يقول بالوجه الثاني فيرى ان سير النقلة وسير العلم في حركته كفرق ما بين راكب الناقة وراكب البخار فان بدءا من نقطة واحدة الآن فلا يلبثان أن يتفارقا فيسبق العلم النقل ويبقى الناقل أبد الابيد ذنباً له . وان أريد نقل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما عند القوم من أول الدهر الى اليوم لزم لذلك خمسمائة عام يكونون فيها قد تقدمونا بمثل هذا القدر من السنين . ويقول هؤلاء : هذا رأينا الأمم الآن غيرت الطريق الأول في نقل العلم الى هذا الطريق كما فعلت اليابان

وعندي انه يجب التوفيق بين هذين القولين فنجعل تعليم اللغة العلمية إجباريا وبهذا نعطي لكل واحد (مفتاح الجفر) ونرفع الستار عن عالم العلم . ثم نجعل التعليم والتأليف بلسان الأمة التي هو فيها . ومتى فعلنا ذلك امكننا أن نسير مع العلم اذ كتبه وحدوده التي هو عليها تصبح كتبنا وحدودنا وأمكننا أن ننقل منه ماشاء الله ان ننقل منه .

ولا يلزم أن نتعلم اللغة العلمية بحيث نحسن الكتابة والتكلم بها بل يكفينا القدرة على فهمها جيداً والنقل منها كما كان ذلك شأن النقلة الكبار مثل ابن ماسويه وحنين ابن اسحق ورفاعة بك والرشيدي صاحب المادة وامثالهم . ولو حفظ الانسان في كل يوم خمسة مصادر بمشتقاتها لكان رأسه في ختام السنة قاموساً

وانما يجب اذن أن نجعل اللغات الاسلامية في حالة يمكنها بها أن تكون لغة علمية وذلك بنقل ما جدّ من الالفاظ والاصطلاحات اليها وللوصول الى هذا نتخذ أحد المعاجم الموجودة بين أيدينا أصلا ونذيله بما استجد من ذلك ناقلين ألفاظ العلوم واصطلاحات الفنون كما هي بعد تحوير قليل تنتظم به في صيغ اللغة الأصلية . أما الجهد في سد هذا النقص بايجاد ألفاظ من متن اللغة القديمة تؤدي المعاني الجديدة أو استدراك ذلك بواسطة النحت أو الاشتقاق من الجوامد أو نحو ذلك فعبث ولا لزوم له

***

وأما كيفية تعليم العلم وترتيب ذلك فأهم ما يجب أن يعمل فيه أن يكون التعليم عامّا اجباريا على ثلاث طبقات (ابتدائي وثانوي وعال) وان يكون التلامذة بقدر عشرين في المائة من عدد السكان . منهم واحد في المائة للمدارس العالية وسبعة في المائة للثانوية وما بقي فللمدارس الابتدائية . وان يكون الاساتذة على نسبة واحد لكل خمسة عشر تلميذاً في المدارس العالية وواحد لكل ثلاثين في المدارس الثانوية . ولكل خمسين في المدارس الابتدائية

وعلى هذا يجب أن تكون المدارس الابتدائية منتشرة في كل قرية انتشار المساجد والزوايا . والمدارس الثانوية في كل مركز . والمدارس العليا (أي الجامعة) في أمهات المدن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وينبغي أن تكون الغاية عند الكافة من طالب العلم أن يكون المرء سعيداً في رزقه سعيداً في نفسه وفي فكره وفي بيته وفي أمته لا ان تكون اداء امتحان واخذ شهادة

ثم ان جدول التعليم في المدارس (البروجرام) هو بمثابة الجوهر وكل ماعداه في مقام العرض فعليه يتوقف الفلاح في الحياة أو الخيبة فيها . وطالما حرص الفلاسفة على تبيان أهمية هذا الامر واهتمت به الحكومات . قال جان جاك روسو : « ان أكثر ماتتعلمه في المدارس كأنما نتعلمه لنتساه لاغير ذلك اذ معظمه مما لا نستفيد منه في حياتنا مرة واحدة » وقال آخر : « الفساد في التعليم يفسد أمة بأسرها » وقال هربرت سبنسر الفيلسوف الانكليزي « لو لم يكن عندنا من العلم الا ما نعلّمه في المدارس لكانت انكلترا اليوم على ما كانت عليه في القرون الوسطى . فجميع ماعندنا من المعارف الكبرى التي صرنا بها أمة عظيمة في الدنيا لم تنشأ من المدارس المعدة لذلك بل من أكواخ حقيرة وزوايا مهجورة » وقال (كوريون) عن مدارس الصنائع في فرنسا: ان ثلاثة أرباع الوقت يضيع فيها سدى . وقال (هنري دوفيل) في جلسة عامة بأكاديمية العلوم في فرنسا: « اني نضو في المدرسة الجامعة (كلية باريس) من مدة واني اليوم على وشك الاعتزال من الاعمال فأقول لكم قولا يجب أن يملأ كل أذن وهو انه مادامت هذه المدرسة على هذه الحال فلا تسوق الا الى الجهالة » . واذا كان الامر من الاهمية بحيث استدعى ايراد هذه الاقوال عن مدارس اوربا وجب ان نجعله في المنزلة القصوى من الاهتمام به ولا نقلد تلك الأمم بنقل برجراماتها كما هي وقد سمعنا اقوال الفضلاء في قيمة تلك البروجرامات وقلة جدواها في التربية العامة

وليس لي ان اجزم هنا في مسألة هي الآن مشكلة الأمم ومختلف العقلاء وانما رأيي ان يكون التعليم الابتدائي محصوراً في الأمور التي يجب على كل امرئ ان يعلمها وهو علم (مايحفظ الجسم) كمبادئ قواعد الصحة والفسيولوجيا وعلم (مايحفظ النفس) كالاخلاق وما (يحفظ العائلة) كتدبير المنزل وما (يحفظ الأمة) كمبادئ السياسة والتاريخ ونحوه وما (يحفظ العقيدة) وهو مبادئ الالهيات والحكمة الأولى التي هي سلك العلوم الحافظ لها من الضياع كما قدمنا ثم لابد له من علم (مايحفظ الرزق) وهو الزراعة أو الصناعة أو التجارة ومبادئ علم الاقتصاد والحساب الضابط للعمل

واما المدارس الثانوية فيتعلم فيها العلم الذي اختاره المرء لنفسه وما يلزمه من الفنون ولغة اجنبية من لغات العلم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويتعلم التلميذ في المدرسة العليا تفصيل ما اجمله في المدرسة الثانوية . وتقسم حينئذ المدارس العليا (الكلية) الى اقسام كل يختص بعلم مخصوص .

والاختصاص بالفن الواحد من اهم الأمور في بلوغ الغايات في العلوم اذ العلم يعطيك من نفسه بقدر ماتعطيه من نفسك ومما يجب تعويد الطلبة عليه السير مع العلم كل يوم وعدم الوقوف طول العمر عند مايتلقونه في المدارس وذلك بالاطلاع على فهارس (دور الكتب) والوراقين والوقوف على كل مايجد في الفن . قال برتلو الكيماوى المشهور: كنت أقرأ في كل عام فوق مائتي مصنف تنشر في الكيمياء وأحلل ما اجده منها في نفسي تحليلا كيماويا فيتيسر لي بذلك توسيع دائرة هذا العلم واكتشاف أمور كثيرة فيه

***

وأما المال اللازم لذلك فهو لايتجاوز ريالا واحداً عن كل شخص من الأمة وهو ثلث ما تنفقه أمة كالأمة المصرية على الخمر والدخان في كل سنة . والحصول على هذا المال يكون اما من طريق الحكومة بالطلب منها والالحاح عليها والاستمانة في ذلك . أومن طريق الأمة بالاكتتاب العام الدائم والحث عليه بالخطب على المنابر والجرائد وغيرها . وقد كان السيد جمال الدين رأى في ذلك رأياوهو أن ينشأ صندوق يسمى (صندوق المسلمين) يوضع في كل قرية وعلى كل طريق ومسجد ويجمع فيه المال لاصلاح أحوال المسلمين . ولا بأس من جعله تحت مراقبة ادارة رسمية لتزداد ثقة الناس به كما جعلوا صندوق التوفير تحت ادارة مصلحة البوسطة مثلا . على انه لايعدم الاسلام رجالا في هذا الزمان يقومون على قدم أبي بكر الصديق رضى الله عنه في سالف العصر من بذل كل أموالهم في تأييد العقيدة التي أخذوا بها والدين الذي انتسبوا اليه . روى مسلم في صحيحه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان من أمنّ الناس علي في ماله وصحبته أبابكر)

أما البحث عمن يقوم بهذا الامر فهو أهم الابحاث وأس المسائل والذي يقوم بهذا الامر إما الامة وإما الحكومة . أما الأمة فما دامت في الصفولية فلايمكنها أن تميز خيراً من شر أو ان تترك اللعبة وتشتري الكتاب . واما الحكومة فهي اما حكومة وطنية وهي في الغالب الآن مع الأمم الاسلامية في مقام السيد مع العبد فان تعلمت الأمة وارتقت أصبحت معها في مكان الوكيل مع موكله وهيهات هيهات ان تساعد على ذلك . وأما

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحكومة الاجنبية فهي بمثابة الوصي الطماع مع القاصر الغني فصلحها ان تحول بينه وبين الرشد دائما (١) وإذ قد نفضنا أيدينا من هؤلاء جميعا فلم يبق امل يرجى وأمنية تنتظر الامن فئة قليلة بلغت الرشد فعرفت الحال والمآل اعني بها (عقلاء المسلمين) هذه الفئة هي المسأولة وحدها ولا مسؤلية على عامة الأمة « ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج » وهؤلاء العقلاء بالنسبة الى بقية الأمة القاصرة في مقام الاولياء فهم المسأولون عن خيرها وشرها ونفعها وضرها

لاسبيل الى نجاة المسلمين وإعلاء كلمة الاسلام الا أن يؤلف هؤلاء العقلاء في كل قطر جمعية يسمونها جمعية (مستقبل الاسلام) وان يؤلفوا جمعية أخرى عامة تضم هذه الجمعيات تسمى (المؤتمر الاسلامي) ينعقد في مكة أو في أي مكان يتفق عليه كل سنتين مرة ويكون أعضاؤه مندوبو جمعيات الاقطار المختلفة ووجهته اصلاح

---

(١) يقول بعض السذج من البسطاء لا حاجة لاهتمام المسلمين بأحوالهم اذ الافرنج لابدان يسوقهم دافع المدنية وروابط الانسانية الى أن يحتلوا بلادهم فيصلحوا احوالها وينظموا أعمالها كما ذكر ذلك (روسفلت) رئيس جمهورية الولايات المتحدة في خطبة له قال فيها : (ان داعي الانسانية يضطرنا الى احتلال البلاد الضعيفة والتغلب على الأمم المنحطة لترتب احوالهم ونصلح اعمالهم ونرقيهم حتى يصبحوا مثلنا تماما وما نأخذه في اثناء ذلك من المنافع هو اجر ذلك العمل). اقول ان هذا تغرير للابصار، وتضليل للأفكار. اذ الافرنج قد يصلحون الأشياء لا الأشخاص ومثل هذا الاصلاح لايفيد المسلمين وهم في حالة الانحطاط بل هو اشبه بالثياب المهندمة التي يضعها الباعة على تماثيل الخشب. زخرف على تربة ،ونقش على خربة. فان الأمة لايمكنها ان تنازع غيرها سبل الحياة الا بنفسها فاذا فقدت نفسها فهي فاقدة لكل شئ . ولا ترجع فائدة هذه الاصلاحات الا على الافرنج انفسهم فمثلهم فيه مثل من يعمر البيت بأجرته ثم يسكنه مدة طويلة حتى اذا خرج منه يوما كان البيت قد عاد الى حالته الاولى .

اما اصلاح الاشخاص الذي هو أس كل اصلاح حقيقي فهو مالا يفعله الافرنج بل ما يدأبون في الغالب لصده ورده. قال بعض نبهاء التونسيين وقد سئل عن حال بلاده (تقدمت البلاد وتأخر اهلها) ولا عجب في ذلك كله ما دامت سنة الاجتماع قد قضت بان تكون حياة القوي في موت الضعيف اه لمؤلف الرسالة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحوال المسلمين ونشر التعليم الذي هو وسيلة ذلك

أي دولة قامت.أو راية نصبت ، أوأمة خلصت؛ أو وحدة تألفت، الابالجمعيات، الجمعية عامل لايموت وأمة في واحد . هل اجتمعت الوحدة الايطالية أو تهيأت الجامعة السلافية والجنسية السكسونية ، الا بالجمعيات السرية او الجهرية . هذه الأمة الارمنية والطائفة المقدونية والفئة الكريتية على صغرها في الوجود، وكونها لاتكاد تذكر بين كل موجود، تعمل اعمال الجبابرة في الخلاص من حضيض الأسر، الى اوج النصر، والأمة الاسلامية التي ملأت المشرقين والمغربين تتفض انتفاض الطائر في شباك الصائد ولا تعمل للنجاة عملا . وكيف ترجو الوصول الى الغاية وهي لاتنقل اليها قدماً ، ولا تحرك شفة ولا قلما ، ومن طلب شيئاً وجده ، ومن تركه فقده .

ولا يعتذر الجبان المفقود القلب بان عقد هذه الجمعيات مما يتعذر حصوله في البلاد الإسلامية الآن اذ اي جمعية انشئت لمثل هذا الغرض فلم تقابل بالكفران ، وتحط بالنيران ، ولكنها العزيمة التي ترى ان الموت في حياة الامة خير من الحياة في موتها وانه لا محيص من الصدر او القبر ، على ان كثيراً من بلدان الاسلام الآن مفتوحة الابواب لمثل هذا العمل واخصها الممالك التي احتلها الانكليز ويقرب سكانها من نصف المسلمين (١) على ان الممالك الاخرى متى علمت ان المقصد من العمل هو التعليم والتربية . لايكون لها مجال في منعه . فان منعته في الجهر فهل يمكنها أن تمنعه في السر ؟ وان أمسكت الأفواه فهل يمكنها أن تضبط القلوب

اما اولئك الآخرون الذين نراهم ينذرون بفناء الاسلام وانتهاء امده ويستدلون

---

(١) أوجبه كثيرة كانت تحملني دائماً ان أجزم بأنه من الضروري للمسلمين أن يتفقوا مع الانكليز في السياسة العامة سوا في ذلك الذين تحت سلطتهم والذين تحت سلطة الدول الأجنبية الأخرى والمستقلون .

أما الذين تحت سلطتهم فيجب عليهم ذلك لأسباب كثيرة منها أن الانكليز يطلقون في مستعمراتهم حرية الدين والتعليم والقول والتجارة ويكتفون من الفائدة بأن تكون البلاد سوقاً لتجارتهم ومجالا لارتفاقاتهم المالية . ولاشيء أنفع وأجدى على الاسلام من هذه الحرية التي لاتوقف نموه الطبيعي ولا يخشى عليه أكثر من وقوف القوة أمام ذلك النمو .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على ذلك بالاحاديث الموضوعة والاقوال التي لفقها اعداء الدين قديماً لإدخال اليأس على قلوب المسلمين فيجب أن نسد افواههم ونوجع اقفاءهم ونتلو على اسماعهم قول الله تعالى: « هو الذي أرسلَ رسولَهُ بالهُدَى ودين الحقّ ليُظْهِرَهُ على الدّين كلّهِ ولو كَرِهَ المشركون » وقوله تعالى: « يريدون أن يطفئوا نورَ اللهِ بأفواههم ويأبى الله الا أنْ يُتِمَّ نورَهُ ولو كَرِهَ الكافرون »

ايها المسلمون جدُّوا في هذا امر لتجِدُوا، وموتوا فيه لتحيوا. واعرفوا قومكم قبل ان ينكروكم، واحفظوا بلادكم قبل ان تضيعكم، قد حدثت فيكم حركة عامة فأيدوها

ومنها انه يمكن للأمة الاسلامية اذا ارتقت ان تخلص من نير الانكليز بالاتفاق او بالقوة اذ قوة الانكليز البرية ضعيفة، وقد صعب عليهم ان يخضعوا ثلاثمائة الف من البوير اخيراً فكيف يخضعون ثلاثمائة مليون اذا اصبحوا مثل البوير

ومنها انه اذا لم يكن الانكليز يين ظهرانيهم فلابد أن يكون غيرهم من الامم الاجنبية اذ الضعف الذي هو علة تسلط أولئك لم يفارقهم فان تسلطت عليهم دول أخرى كالروسيا في آسيا أو المانيا وفرنسا في افريقيا ودهمتهم بما عندها من الجند الذين لا يقلون عن خمسة عشر مليوناً فقل على المسلمين السلام.

على انها اذا لم تنكل بهم فانها تسد ابواب الحرية الدينية والسياسية في أوجههم. هذه تونس ابطل منها الحج، والجزائر لا تدخلها جريدة اسلامية حرة كالمؤيد وتركستان لا يقرأ في مدارسها آي الجهاد من كتاب الله، وجاوه اصبح المسلمون فيها من الضغط والاهانة في مرتبة الحيوان الاعجم.

وأما المسلمون الذين تحت سلطة الدول الأخرى — فللاسباب المتقدمة جميعها ولأن مصلحة الانكليز في خلاصهم من يد تلك الدول وهي أقدر الناس على هذا في الحقيقة اذ هذه الدول (ماعدا الروسيا) لا تصل الى ممالك الاسلام الا من طريق البحر ومفتاح البحر في أيدي الانكليز.

واما المسلمون المستقلون فيجب عليهم الاتفاق مع الانكليز ايضاً لأوجه منها ان مصلحة الانكليز تفضل بقاء هذه الممالك مستقلة غير محكومة بدولة اجنبية وذلك لان روح هذه الأمة التجارة وما دامت الممالك الاسلامية مستقلة فابواب التجارة مفتوحة وطريقها مأمونة فان احتلتها دولة اجنبية فهناك المخافة والخطر. ولهذا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويحملوا فيها الأذى . هذا صوت القرآن يناديكم . وداعي الله يستدعيكم «يا قومنا أجيبوا داعيَ الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويُجِرْكم من عذاب أليم»

﴿ الهدايا والتقاريظ من باب الآثار الأدبية ﴾

(اللؤلؤ النظيم . في روم التعلم والتعليم) كتبه الشيخ الاسلام زكريا الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٦ ذكر فيه شروط الاشتغال بالعلم وآفاته . ثم ذكر العلوم المعروفة في العربية وتعريفاتها . أما ماذكره من الشروط والآفات فهو حسن جداً . ويالَيت أهل الأزهر يتدبرون قوله ويسيرون على منهجه كما يقرأون منهجه في الفقه وغيره من كتبه . فقد ذكر من الشروط أن يقصد بكل علم ما وضع له وهم يقصدون بكل علم المناقشة بعبارات كتبه . وذكر منها أن يشتغل كل طالب بالعلم الذي يميل اليه طبعه لان كلاً ميسَّرٌ لما خلق له وهم لا يراعون هذا . وذكر منها اختيار الكتب الجيدة وهم قد التزموا كتبا مفضولة لا حجة لهم على اختيارها الا تقليد الآخر لمن سبقه في ذلك . وذكر منها أن لا يدخل علماً في آخر وهذه الحواشي التي التزموها قد امتزجت فيها العلوم امتزاجاً، فصارت أخلاطاً وأمشاجاً

واما ماذكره في تعريفات العلوم وفوائدها فقد جرى فيه على المعروف عند أهل

السبب كان الانكليز احرص الناس على مساعدة هذه الممالك على التقدم والنجاح والبقاء ومن رأى مخاطبات السير ليارد سفير انكلترا للباب العالي بعد الحرب الروسية وجد غيرة كبيرة على مستقبل الدولة

أما استيلاء الانكليز أنفسهم على بعض الممالك الاسلامية فهو في الغالب لتحققهم وشك وقوعها في أيدي غيرهم ان لم يسبقوا اليها . على أنه لولا دماء الانكليز وأموالهم لاستولى الروس على القسطنطينية وعلى العجم والافغان وملكت فرنسا مراكش والطليان طرابلس وهكذا . ومن هذه الاسباب يعلم أن الممالك الاسلامية محتاجة في كل وقت الى عضد قوي تتقي به أوربا . والانكليز هم أولى الناس بهذا اذ تجمعهم مع الأمة الاسلامية كراهية أوربا للفريقين وكراهتهما لها

هذه أفكاري في هذا الموضوع ولولا ان هذه المسألة جوهرية بالنسبة الى مستقبل الاسلام لما احتجت للتعرض لها في هذا المقام . اه لمؤلف الرسالة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عصره في الغالب وفيه خطأ وقصور ومن اغرب ذلك قوله في الكيمياء: « علم بأصول يعرف بها معدن الذهب والفضة » وقوله: « علم الهيئة علم يعرف به الاجرام البسيطة من حيث كمياتها وكيفياتها وأوضاعها وحركاتها اللازمة لها »

(تعريف اصطلاحات علم الأصول) رسالة أو مقدمة للشيخ زكريا الانصاري أيضاً ينبغي لمن يبتدئ بتعلم الأصول الاطلاع عليها فانها تؤنسه بتلك الاصطلاحات على ما فيها من خطأ وقصور . ومن غريب ذلك قوله في تعريف المعدوم: « ضد الموجود » مع قوله عقيبه: « الضدان أمران وجوديان يستحيل اجتماعهما في محل واحد » وهذا يفيد أن المعدوم من الامور الوجودية ! ! ومنه قوله: « الذاتي ما يستحيل فهم ذاته قبل فهمه » ومنه تعريفه العدل والعدالة بالاعتدال والثبات على الحق . وانما نبهت على هذه الاغلاط لألفت طلاب الازهر الى عدم التسليم بكل ماقال الشيوخ المؤلفون لانهم ألفوا وماتوا هذا وقد طبع الرسالتان أو المقالتان أو الكتيبان الشيخ أحمد عمر المحمصاني الازهري وجعل لهما مقدمة وخاتمة فكان جميع ذلك ٣٦ صفحة صغيرة ولكن الثمن أصغر من ذلك فهو نصف قرش صحيح

(المعلقات السبع) هي أشهر من أن ينوَّه بها فما من مشتغل بالعلم الا وهو يعلم أنها أبلغ ما يؤثر عن العرب في الجاهلية وأنها يحتاج اليها في اكتساب ملكة فصاحة اللسان وذوق اللغة ولكن نسخها التي في الايدي غير موثوق بضبطها وصحتها لذلك عهد الشيخ احمد عمر المحمصاني الى تصحيحها وضبطها على الشيخ محمد محمود الشنقيطي وهو كما يعلم القراء امام اللغة في هذا العصر وقد طبع النسخة المصححة مضبوطة بالشكل وذكر في هامشها اختلاف الروايات وأضاف اليها القصيدة المعروفة بلامية العرب مضبوطة مثلها وجعل ثمن النسخة من الورق الابيض الناعم قرشين صحيحين والنسخة من الورق النباتي قرشاً ونصفا فنحث كل مشتغل بالعربية على حفظها بهذا الضبط والتصحيح . ويا حبذا لو كان أضيف الى ذكر الروايات تفسير الغريب

(سفينة النجاة في قواعد النحاة) اسم لكتاب تعليمي مؤلف من أجزاء طبع الثالث منها أخيراً طبعاً حسنا مضبوطاً بالشكل على ورق حسن وهو أوسع من كتاب النحو الرابع الذي يقرأ في المدارس الأميرية اومثله لكنه أكثر تمريناً فهو خير كتاب رأيت في تسهيل تعليم النحو . ومما رأيته منتقدا فيه ذكر جمل فاسدة في التمرينات لأجل اصلاح التلامذة لها وعندي ان هذا مما يترك للمعلمين ولا يكتب في الكتب . والخطب سهل . ومنه ذكر بعض الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والحكم المأثورة مع تصرف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيها بالزيادة والنقصان أو التبديل والتغيير والمعنى صحيح . ولعل المؤلف يعتذر بأن هذا من قبيل الاقتباس الذي اعتادوا التصرف فيه بالمأثور وهو عذر يقال وانما انتقدت لأن القارئ يقع في الوهم من ذلك السرد الذي ليس مظنة للاقتباس اذ لم يعتد في مثل هذا المقام، أما مؤلف الكتاب فهو أحد (الفرير) وقد أشار الى اسمه بهذه الاشارة (ح . ط .) وأتبعها بهذه العبارة « مفتش اللغة العربية في احد المدارس الكبرى بالقاهرة »

﴿ المنار وجريدة « تربيت » الفارسية ﴾

جاء في جريدة تربيت الفارسية التي تصدر في طهران تحت عنوان (مجلة المنار) ما ترجمته

ان العلوم والمعارف في هذا العصر قد بنيت في عمدة أقسام الدنيا كما ينبغي أن تبنى ، وأحكمت كما يجب أن تحكم ، ولم يبق الاَّ القليل من الأمكنة التي يعيش أهلها بالأوهام الباطلة ، والخيالات الواهية ، جاعلين عنان اختيارهم بأيدي اهواء مختلفة ورياح متناوحة ، يسلكون المناهج المظلمة عُمْياً لا يبصرون

ان معارف الفلاسفة الأقدمين وأفكار العلماء العرفاء من أهل القرون المتوسطة قد اصبحت مفاتح لحكماء هذا العصر الجديد حتى سهل لهم بها تذليل الأقفال الصعبة ، وفتح الابواب الموصدة ، واصبح عمر الانسان القصير من جراء هذه الاكتشافات يعد بالألوف من السنين . والعالم يفهم ان معنى العيش وحقيقة الحياة هو العلم ومن فوائد العلم القدرة على العمل ومن لا علم له لا قدرة له

والاشياء التي رومها الجاهل في عمره ويرجو ان يدفع بها آلامه واوجاعه هي التي تولد الامراض وتضاعف الاوجاع . فحكمها حكم الخمرة التي يشربها الشارب في جنح الليل لصدع همومه فيحدث في صباحه ما يكثر همومه من الصداع والكسل قال احد عبدة الخمر : إني لم اشرب في عمري غير جام واحد لترويح النفس وكل ما شربته بعد فانما كان لدفع ما اورثته تلك الكأس من الخمول والخمود

لا بعد فالغرض هو العلم اذ به اصبحت اكثر الممالك في هذا العصر جنات دانية الجنى وقد تسلسلت أنهار الفضل بعضها وصيرت السراب بحراً متدفق الجوانب بالأمواه العذبة . وأحد تلك البحور الزاخرة التي ليس لها ساحل هو وادي النيل وكرسي الفراعنة الذي صار حقيقاً بأن يدعى في عصرنا هذا بعرش الحكمة . وأي دليل على ما نقوله أقوى من وجود منبع الفضل العلامة الأوحد مولانا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية — متعنا الله بطول حياته — في الجامع الأزهر في القاهرة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(الجامع الأزهر هو مدرسة تحتوي على آلاف من الطلبة مشغولين فيه بتحصيل العلوم)

وقبل هذا كثيراً ماتكلمنا عن الجرائد والمجلات المصرية وانا نكرر الحديث فيها حتى لانكون مدينين بشيء لشرح هذا المطلب المهم ولا يفوتنا مستحب مؤكد بل فريضة لازمة .

في هذا الاسبوع وردت على ادارة التربية (مجلة المنار) فغاز رواد المعارف الذين هم في حوزتنا الصغيرة من مطالعة تلك المجلة باكبر المنافع وبها عرفنا منزلة صاحبها سيد الفضلاء الاستاذ الالمعي السيد محمد رشيد رضا ومقدار ماعليه حضرته من الفضل والادب

أقول : لم يبق في هذا العصر الأمة المصرية شيء يمنعها من بلوغ مقاصدها السامية فإن أسباب الكمال مجموعة لديها فكاتبها مثل السيد ومحرروا أخبارها من ذكرنا قبلُ ومرشدها فيلسوف مثل فضيلة الشيخ الأجل الشيخ محمد عبده (شكر الله مساعيه) ودار كتبها الشهيرة (الكتبخانة الخديوية) لا يحيط بها الوصف . فاذا لم يصل أولئك القوم الى أقصى درجات العلم والحكمة فلا أدري من اية جهة يكون التقصير وبما هو السبب فيه

المنار مجلة علمية أدبية تهذيبية ملية وفيها أخبار متنوعة تصدر في غرة كل شهر وفي السادس عشر منه . هي جنس يجب أن يشرى بالروح . ومن زينة الحياة الدنيا أن هذه المجلة الواحدة تكفي وتغني . إن مايسطر فيها يمزج بماء الحياة ويشرب فهو ينقذ من مخالب الاستسقاء المهلك ويحيي الروح وينجي من الموت ولم يؤلف كتاب ولا رسالة أحسن من مجلة المنار . لاجل الوصول الى الحقيقة ومزايا الاسلام ولو أن ابن خلدون الحضرمي كان حيًّا لعلم ما أقوله وأثبته

في كل مقالة من هذه المجلة الغراء أثر من طيب ريحانة الفاضل الخبير ، والنحرير الذي ليس له نظير ، رئيس معاصي قاموس كل علم ، علم الأعلام ، سند الإسلام ، فضيلة الشيخ محمد عبده دام علاه ، الذي هو كمال المشرق والمغرب وجمالهما . واذا راقت الآراء المعدودة من حكمائنا في اعين العرفاء من الإفرنج فاول تلك الآراء هي تصورات ذلك المولى الكبير — أعني الشيخ محمد عبده جعل الله الى اعلى المقامات منتهاه والى أعظم البحور طريقه

ومن هذه الجملة أستنبط حسن حظ المصريين الذين هم اخواننا المسلمون واعلم ان شكر هذه النعمة من الواجب . وبعد الاسف الكثير على حال المسجونين في ظلام الجهل أقول : بخ بخ لمصر التي منحت فوق دار الكتب ودار الآثار والعاديات والمدارس كنوز معارف من المجلات المفيدة المفيئة . وما أطيب زمن طلاب جامع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الازهر إذ يحكمون مباني عقولهم وأفهامهم وينورون ساحات قلوبهم وأبصارهم بسماع حكمة تلك الكلمات والآيات وجواهر أحاديث الفيلسوف الأعلم ، الجناب المستطاب المعظم ، الشيخ محمد عبده سلمه الله تعالى ، يحسن من أهل بلادنا أيضاً أن يطلبوا مقداراً من هذه المجلة ويسرحوا النظر فيها واذا نشأ عن ذلك خطايا فخطاياه في عنقي ،

طالت حياة شيخنا الأجل الشيخ محمد عبده اذ فيها خير للمسلمين ، وان شاء الله سنزين أوراق « التربية » بشرح ذلك مع الفوائد العظيمة من مجلة المنار

(المنار) لقد سبق ان قرظ المنار من علماء الاقطار وفي خير الجرائد والمجلات العلمية في مصر وغيرها ولم ننقل من ذلك شيئاً لاننا نرى أن ناقل مدحه كمادح نفسه بنفسه ولكننا عنينا بتعريب ما كتب في هذه الجريدة (تربيت) ونشرناه لا لأن صاحب الجريدة من أكابر العلماء والفضلاء ، وخيرة الكتاب البلغاء ، ولا لان الجريدة لها المكانة العالية في نفوس كبراء الفرس وفضلائهم كما أخبرنا بذلك صديقنا ميرزا مهدي بك صاحب جريدة « حكمت » الغراء ، بل لان صاحبها على مذهب الشيعة فأحببنا أن يعرف قراء المنار من أهل السنة ان من فضل الله تعالى على الاسلام والمسلمين ان نزع من قلوبهم في هذا العصر تلك التعصبات والتحزبات التي خضدت بها من قبل شوكتهم ، وفرقت كلمتهم ، فذهبت ريحهم ، وخبت مصابيحهم ، تقشعت الظلمات وانجلت الغياهب عن فضلاء الامة فأبصروا ان مصالحهم واحدة لان جامعتهم واحدة وهي جامعة الدين الحق الذي جعلهم اخواناً ، صار المسلم في فارس يفرح لاخيه المسلم في مصر اذا أحسن عملا ويحزن لاخيه في مراكش أذا أساء صنعاً ، وكذلك حال المصري يبتهج بما يسمع من حسن حال اخوانه في ايران . ويستاء اذا هضمت حقوقهم في بلوجستان ، الا ما يلفظ به بعض الاحداث ، وان لم يصادف أقل اكتراث ، فلا وطنية ولا عصبية ، في هذه الديانة الاسلامية ، وعلى كل حال يجب أن نشكر لأخينا صاحب جريدة (تربيت) حسن ظنه بنا وبالمنار على ضعفنا وتقصيرنا . أما ما قاله في الاستاذ الامام ، فهو الذي اتفق عليه ذوو الافهام ؛ ولكن الشرط في حصول المراد ، هو كمال الاستعداد

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(مدرسة الشوربجي في كفر الزيات) — الناس معادن والاستعداد للخير يظهر أحياناً في أفراد لايهتدي أحد من الناس الى السر في ظهوره فيهم لأنهم لم يمتازوا في تربيتهم امتيازاً يرفعهم عن قومهم فيسند الى تلك التربية ماينبغي ان يقوم الى القيام به من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأعمال النافعة والمشروعات العامة . وانما يتعلل علماء النفس والاخلاق في التعليل بأن ذلك الاستعداد جاء من الوراثة لأحد الأجداد السابقين وفاتهم ان لله في بعض البشر عناية أزلية ، وفي بعض القلوب الهامات خفية ، وليس هذا وذاك من الشذوذ عن النواميس الفطرية ولكنه غير معروف بالتحقيق والتعليل الصحيح عند علماء النفس

مصطفى بك الشوربجي تربى في الحقول والمزارع لا في المكاتب والمدارس وهو لا يعرف الكتب والجرائد التي ترغب في انشاء المدارس والمستشفيات . وقد وفق منذ سنين الى انشاء مستشفى ومدرسة للبنين والبنات في بلده (بمديرية البحيرة) وأوقف عليهما من الأرض ما يفي ريعه بنفقتهما ثم انه في اسفاره يتردد الى بلدة كفر الزيات (بمديرية الغربية) تعاهده أن اشتراها فيها ورأى انه ليس فيها مدرسة للمسلمين شرع في بناء مدرسة للبنين والبنات فيها وبناء بيوت بجانبها توقف عليها . وكان يوم الجمعة الماضي يوم الاحتفال بالتأسيس وكان رئيس الاحتفال عدلي باشا يكن مدير الغربية وحضره كثير من الوجهاء والفضلاء . وبعد ان وضع المدير الحجر الأول الأساس على الطريقة الأوربية الجديدة دعي كاتب هذه السطور الى الخطابة فقام وقال ما فتح الله به من بيان حسنات العلم ومنافعه في الزراعة والصناعة والتجارة وكل أعمال الحياة الاجتماعية لا سيما جمع كلمة الأمة وتوحيد مصالحها ومنافعها الذي يحقق به معنى الانسانية . ثم بيان أن نشر العلم الذي له هذا الشأن في الحياة هو أفضل الفضائل على الاطلاق حتى ان إنشاء المدارس له أفضل من انشاء المساجد . ثم الانتقال الى حث الاغنياء على إنشاء المدارس وبيان ان جميع طبقات البشر متقاربون في اللذات الحسية وان أوهمت المظاهر الصورية خلاف ذلك فلم يبق من فائدة للاستزادة من جمع المال الا الشرف وكان في أيام الجهل محصوراً في الإنفاق على احتفالات الاعراس والمآتم ونحوه ولكن أهل هذا العصر لا يرون الشرف الا في العلم والسعي في نشره أو القيام بثمراته في نفع الناس فعلى من يريد ان يكون شريفاً عزيزاً في الدنيا أن يسعى في انشاء المدارس وعلى من يريد أن يكون سعيداً في الآخرة أن يسعى في ذلك أيضاً

ثم نبهت بعد هذا على إقبال النبط على تعليم وتسبقهم المسلمين فيه مبيناً ان العلم هو القوة الكبرى فاذا وجدت في فريق من الأمة دون آخر يرى الفريق العالم أنه الأحق بالسيادة والرفعة وينشأ عن ذلك التنازع والتغالب بينه وبين الفريق الجاهل فاذا كان هذا على نسبة قريبة منه في العدد والثروة يسرع اليه الغلب والتلاشي ويعود العلم على الجهل سريعاً كما يرشد اليه قوله تعالى: «أن الأرض يرثها عبادي الصالحون»

أي الذين يصلحون لعمارتها والعمل بسنن الله في ترقيها ، واذا كان للفريق الجاهل قوة من العدد والمال يكون النازع شديداً ، وخراب البلاد وشيكا، والنتيجة أن خير البلاد في أن يكون أهلها متفقين على عمرانها ولن يتفقوا في العمل حتى يتفقوا في العلم بالمصلحة . وذكرت أيضاً العلم النافع وانه مايصلح العمل للدنيا أو الدين أو مايصلح الاعتقاد ويقوّم الفكر . ثم ختمت القول بحث وجهاء الغربية الحاضرين على مجاراة وجهاء المنوفية في انشاء المدارس وعلقت الرجاء بسعادة مدير الغربية وسعيه وبالله التوفيق

ثم قام ابراهيم بك الهلباوي المحامي الشهير فألقى خطاباً مفيداً بين فيه أن العلم كان حلية وزينة في الزمن الماضي وصار ضرورياً للحياة في هذا الزمن . وان الناس كانوا يمتازون بالسجايا الفطرية فصاروا يمتازون بالمعارف الكسبية وبذلك صار العلم حياة حقيقية والجهل موتاً حقيقياً وضرب المثل بهنود أمريكا الذين انقرضوا لأنهم لم يقدروا أن يعيشوا مع المستعمرين العالمين — الى غير ذلك من الفوائد التي اشتهرت بتنويه المؤيد بها . وقد ضم الخطيب صوته الى صوتي في تعليق الرجاء بالغيرة

ثم قام جندي أفندي ابراهيم صاحب جريدة الوطن الغراء فألقى خطابا قال فيه ان الذي حمله عليه هو ماقاله الخطيب الأول (صاحب المنار) في النسبة بين المسلمين والقبط وقال أنه موافق في القول وشاكر عليه . ثم ذكر بعآثر المصريين مشيدي الاهرام وذكر ان السبب في سبق القبط المسلمين في التعليم هو العناية بتعليم البنات واطال في بيان فائدة تعليمهن بجعله اهم من تعليم الذكور

وكان من محاسن الاحتفال حضور بعض التلامذة والتلميذات من مدرسة الشوربجي في البحيرة فخطبوا وانشدوا الأناشيد في مدح العلم ومؤسس المدرسة . ثم انصرف الناس داعين شاكرين

(المستقبل للاسلام) شغلنا معظم هذا الجزء بهذه الرسالة الجليلة ليحيط القراء بفوائدها مرة واحدة . واذا كان هذا رأي شيخ علمة المسلمين في القطر وهم الصوفية وما تقدم في مقالات (الاسلام والنصرانية ..) هو رأي شيخ خواصهم من العلماء والكتاب . وقد اتفقا وبرهنا على أن المستقبل للاسلام والعاقبة للمتقين فلم يبق عذر للمسلمين في تقدير القول قدره والعمل في تحقيق حسن العاقبة